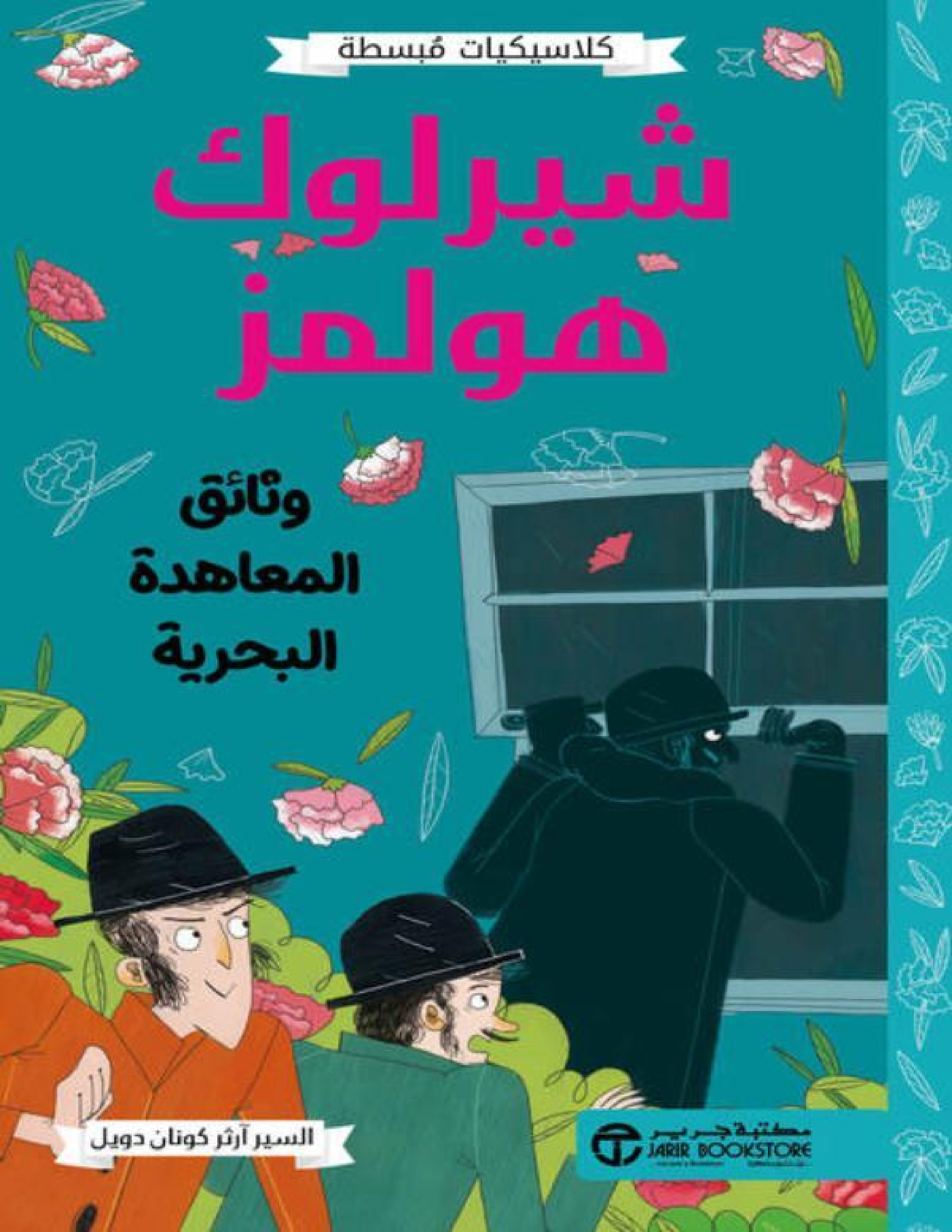

كلاسيكيات مُبسطة
شيرلوك هولمز
وثائق المعاهدة البحرية
السير آرثر كونان دويل
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي


كلاسيكيات مُبسطة
شيرلوك هولمز
وثائق المعاهدة البحرية
السير آرثر كونان دويل
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

حقوق الطبع والنشر

شيرلوك هولمز

كلاسيكيات مبسطة للأطفال

الظلال، والأسرار، والكنز المسروق



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

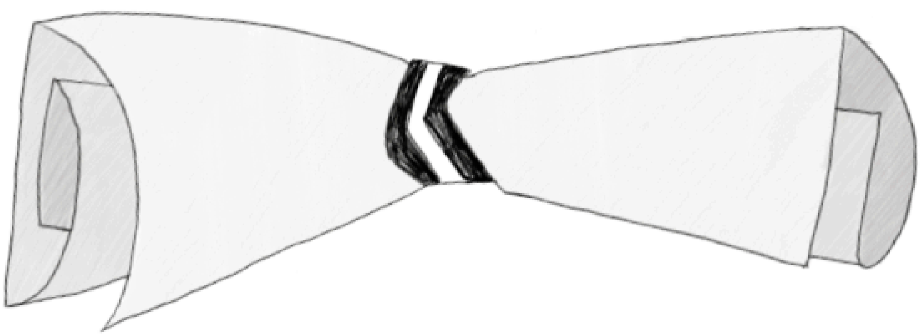
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

الطبعة الأولى 2024

شيرلوك هولمز

وثائق المعاهدة البحرية



السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
not just a Bookstore... ليست مجرد مكتبة...

الفصل الأول

في يوليو من عام 1883، تولى شيرلوك هولمز إحدى أكبر القضايا التي عمل عليها في حياته. في تلك الفترة، كان هولمز مشهورًا جدًّا، لدرجة أنه غالبًا ما كان يشارك في قضايا ذات أهمية دولية، يخص بعضها كبار الشخصيات من العائلات الملكية والسياسية في بريطانيا، الأمر الذي يمنعني من نشر تفاصيلها، لكن هذه القضية كانت فريدة من نوعها؛ فقد كان هناك خطر جسيم يهدد أمن الأمة بأكملها، قبل أن يتمكن هولمز من حل ألغاز المشكلة التي حيرت كلًّا من الشرطة والحكومة. حاليًّا، أصبحت المعاهدة التي تتعلق بها هذه القضية علنية، وبالتالي لا مانع من سرد هذه الحكاية.

خلال أيام دراستي، كان لديَّ صديق يدعى بيرسي فيلبس. كان ولدًا ذكيًّا جدًّا، وعلى الرغم من أنه كان في نفس عمري تقريبًا، فإنه كان متقدمًا عليَّ في الدراسة بعامين دراسيين كاملين. أتذكر فوزه بالعديد من الجوائز في المدرسة، ثم نيله منحة دراسية في جامعة كامبريدج بعد ذلك. كان شقيق والدته هو اللورد هولدهيرست، وهو سياسي عظيم بحزب المحافظين، لكن قريبه الشهير هذا لم يفده كثيرًا في المدرسة، وأشعر بالخجل الشديد لقول إنني شاركت في بعض المضايقات التي كان يتعرض لها في الملعب.



كنت قد نسيته تمامًا منذ ذلك الحين، إلى أن وصلتني الرسالة التالية:



براير براي، ووكينغ

عزيزي واطسون،

أنا متأكد من أنك تتذكر «الشرغوف» فيلبس الذي كان في الصف الدراسي الخامس بينما كنت أنت في الصف الثالث. ربما سمعت أيضًا أنني، من خلال نفوذ عمي، قد حصلت على منصب جيد في وزارة الخارجية، وأنني كنت أحظى بالكثير من الاحترام، حتى حدثت الكارثة المروعة.

لا فائدة من الكتابة حول ماهية ذلك الحدث الفظيع. إذا وافقت على طلبي، فسيكون من الأفضل إخبارك بما حدث عند لقائنا شخصيًّا.

جعلني الإجهاد الناتج عن هذه الكارثة مريضًا جدًّا لمدة تسعة أسابيع، وما زلت ضعيفًا جدًّا حتى الآن. هل يمكنك إحضار صديقك السيد شيرلوك هولمز لرؤيتي؟ لقد أكدت لي السلطات أنه لا يمكن فعل أي شيء آخر، لكنني آمل بشدة أن يتمكن هو من مساعدتي. أرجو محاولة إحضاره بشدة، وفي أسرع وقت ممكن. يبدو كأن الوقت لا يمر، في ظل العيش في حالة ترقب رهيبة. أكدْ له أنني لم أطلب نصيحته من قبل؛ لأنني لم أستطع التفكير بوضوح قبل الآن. إنني أفضل قليلًا الآن، لكنني لا أجرؤ على التفكير في الأمر خوفًا من الانتكاس صحيًّا مجددًا. إنني ضعيف جدًّا لدرجة أنني استعنت بشخص آخر ليكتب هذا الخطاب لأجلي. أرجو محاولة إحضاره بشدة.

بيرسي فيلبس

كان هناك شيء يدعو للشفقة في المناشدات المتكررة لجلب هولمز، وقد تأثرت لدرجة أنني كنت على استـعـداد لفعل أي شيء لمساعدته بنفسي. وكنت أعلم أن هولمز يحب عمله، وأنه دائمًا ما يكون على استعداد لمساعدة العملاء الذين يحتاجون إليه حقًّا. لذا، بعد ساعة من الانتهاء من تناول إفطاري، عدت مرة أخرى إلى مسكننا القديم في شارع بيكر.

كان هولمز جالسًا إلى طاولته، مرتديًا رداء النوم، ويعمل بجد على تجربة كيميائية. كان هناك وعاء زجاجي مستدير يغلي بشدة في اللهب الأزرق لموقد بنسن، وكانت قطرات السائل تتكثف في إبريق. بالكاد رمقني صديقي بنظرة خاطفة عندما دخلت، وبدا لي أن البحث الذي يقوم به مهم جدًّا، فجلست على كرسي ذي مسندين، ثم انتظرت.

أُحضر هولمز بضع زجاجات مختلفة، وسحب بضع قطرات من السائل الموجود في كل منها بواسطة ماصته الزجاجية، ثم أحضر في النهاية أنبوب اختبار يحتوي على المحلول إلى الطاولة، وكان يحمل في يده قصاصة من ورق دوار الشمس.



قال: «لقد جئتَ في ظل مواجهتي أزمة يا واطسون»، وتابع: «إذا ظلت هذه الورقة زرقاء، فكل شيء على ما يرام. أما إذا تحولت إلى اللون الأحمر، فهذا يعني أن حياة رجل ما في خطر».

أدخل الورقة في أنبوب الاختبار، لتتحول فجأة إلى اللون الأحمر الباهت والقذر.

هتف بقوة: «آه، كما توقعت تمامًا»، ثم أردف: «سأكون هنا لمساعدتك خلال لحظات يا واطسون»، قالها وهو يلتفت إلى مكتبه ليكتب عدة برقيات. ثم توجه إلى الباب، ونادى في الطابق السفلي فتى منتظرًا إياه، وأعطاه البرقيات. بعد ذلك، ألقى بنفسه على الكرسي المقابل لي، وجذب ركبتيه حتى تشبثت أصابعه حول ساقيه الطويلتين النحيفتين.

قال: «جريمة قتل صغيرة شائعة جدًا»، وأضاف: «أعتقد أن لديك قضية أفضل، فماذا تكون هذه القضية؟».

سلمته الرسالة، وقد قرأها بأشد تركيز.

ثم قال معلقًا، وهو يعيدها إليَّ: «إنها لا تخبرنا بالكثير، أليس كذلك؟».

- «لا شيء تقريبًا».

- «مع ذلك، فهي رسالة مثيرة للاهتمام».

- «ليس هو من كتب الرسالة».

قال وهو يؤمئ برأسه: «تحديدًا، إن امرأة هي من كتبتها»، وتابع: «كما أنها امرأة ذات شخصية نادرة. كما ترى، في بداية التحقيق، من الجيد معرفة أن عميلك على اتصال بشخص غير عادي، سواء أكان طيبًا أو شريرًا. لقد تمت إثارة اهتمامي بالفعل. إذا كنت مستعدًا، فسنذهب إلى ووكينغ، ونرى هذا السياسي الذي يعاني مشكلة، وتلك السيدة التي يملي عليها رسالته».

الفصل الثاني

كنا محظوظين بما يكفي لركوب قطار مبكر من مدينة ووترلو. وفي أقل من ساعة بقليل، وجدنا أنفسنا بين غابات التنوب والخلنج في بلدة ووكينغ. كان برايز براي عبارة عن منزل كبير منفصل يقف في منتصف أراضٍ واسعة بالقرب من المحطة.

تم اصطحابنا إلى غرفة استقبال مزينة بأناقة؛ حيث انضم إلينا خلال بضع دقائق رجل بدين إلى حد ما. كان من الواضح أنه في الأربعينيات من عمره، لكن كـــانت وجنتاه حمـراويـــن وعـــيناه مبتهجتين لدرجة أنه بدا كأنه تلميذ مشاكس. صافحنا بقوة، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة. فوجـــئت بسلوكـــه الودود جدًّا؛ نـــظرًا لـــسبب زيارتنا في الأساس.



قال: «أنا سعيد جدًّا لمجيئكما»، وأضاف: «كان بيرسي يسأل عنكما طوال الصباح. آه، ذلك الفتى العجوز المسكين. إنه غارق في اليأس جدًّا، ويتمسك بأية قشة».

قال هولمز: «ليس لدينا تفاصيل حتى الآن»، وتابع: «أرى أنك لست فردًا من أفراد العائلة».

بدا الرجل متفاجئًا، ثم نظر للأسفل، وضحك قائلًا:

«بالطبع، لا بد أنك رأيت الحرفين «ج وهـ» على ربطة عنقي»، وأردف: «ظننت للحظة أن استنتاجك كان شيئًا ذكيًا جدًّا. اسمي هو جوزيف هاريسون، وسيتزوج بيرسي قريبًا من أختي، آني، لذا سنكون أقارب من خلال المصاهرة. سوف تجد أختي في غرفته، فهي ترعاه وتسهر على راحته منذ شهرين. ربما من الأفضل أن ندخل في الحال، فأنا أعرف مدى لهفته لمقابلتكما».

كانت الغرفة التي تم اقتيادنا إليها في طابق غرفة الاستقبال نفسه، وقد تم تأثيثها كغرفة نوم مشتركة وغرفة جلوس، مع وجود زهور مرتبة بشكل لطيف في كل زاوية. كان هناك شاب مستلقٍ على أريكة بجوار النافذة المفتوحة التي تنبعث من خلالها رائحة الحديقة الغنية وهواء الصيف المعتدل، وقد بدا شاحبًا ومتعبًا جدًّا.

كانت هناك امرأة جالسة بجانبه. وعندما دخلنا، نهضت قائلة: «هل تجب عليّ المغادرة يا بيرسي؟».

أمسك بيدها لمنعها من الذهاب.

وقال: «كيف حالك يا واطسون؟»، وتابع: «أفترض أن هذا هو السيد شيرلوك هولمز، أليس كذلك؟».

قدمته إليه ببضع كلمات، ثم جلس كلانا. تركَنا الشاب البدين، لكن بقيت أخته، واضعة يدها في يد المريض. كانت امرأة جذابة؛ ذات بشرة زيتونية جميلة، وعينين إيطاليتين كبيرتين داكنتين، وشعر أسود كثيف.

إن مظهرها، كفتاة من بلاد البحر الأبيض المتوسط، جعل الوجه الأبيض لرفيقها يبدو أكثر تهالكًا وشحوبًا للفارق الكبير بينهما.



قال وهو يرفع نفسه على الأريكة: «لن أضيع وقتك»، وتابع: «كنت رجلًا سعيدًا وناجحًا يا سيد هولمز، عندما حطمت مصيبة مفاجئة ومروعة كل تطلعاتي العملية.

لقد كنت، كما قال لك واطسون، موظفًا في وزارة الخارجية. وعندما أصبح عمي، اللورد هولدهيرست، وزيرًا للخارجية، أوكل إليَّ العديد من المهام الكبيرة، التي كنت أؤديها دائمًا بنجاح؛ ما جعل لديه ثقة كاملة بقدراتي ولباقتي.

قبل ما يقرب من عشرة أسابيع، في يوم 23 مايو، اتصل بي عمي وطلب مني الذهاب إلى غرفته. عندما ذهبت إليه أثنى على كل العمل الذي قمت به مؤخرًا، ثم كلفني بمهمة جديدة.

قطع فيلبس سرد روايته، وفتح خزانة بجوار الأريكة، ووضع الكتاب الذي كان يقرأه بداخلها. ألقيت نظرة خاطفة على هولمز، الذي لم يعطِ أي انطباع منذ أن بدأ بيرسي حديثه. كانت عيناه شاردتين، وعرفت منهما أنه كان يقوم بمعالجة المعلومات التي سمعناها حتى الآن؛ والتي كانت في الحقيقة مجرد مقدمة للغز.

تابع بيرسي: «ثم تقدم اللورد هولدهيرست إلى مكتبه وأخرج لفافة من الورق الرمادي من الدرج، وتحدث معي بجدية قائلًا: «هذه هي المعاهدة السرية الأصلية بين إنجلترا وإيطاليا. للأسف، ظهرت بالفعل بعض الشائعات في الصحافة حول بنود هذه الاتفاقية، ومن الأهمية بمكان ألا يتسرب أي شيء آخر. إن السفارات الفرنسية أو الروسية على استعداد لدفع مبلغ كبير من المال لمعرفة محتويات هذه الأوراق. عادة لا تغادر هذه الأوراق مكتبي، لكن من الضروري جدًّا نسخها. خذ المعاهدة وأوصد عليها درج مكتبك جيدًا. سأصدر تعليمات للسماح لك بالعمل ساعات إضافية بعدما يغادر الجميع. سيتيح لك ذلك نسخ المعاهدة في وقت فراغك، ودون أن يراك أحد. عندما تنتهي من نسخها، أوصد درج مكتبك على النسختين، الأصلية والمنسوخة، وسلمهما إليّ شخصيًّا صباح الغد».



نظر بيرسي إلينا بجدية وهو يتابع: «أخذت الورق و...»، فقاطعه هولمز: «عفوًا لحظة. هل كنتما بمفردكما خلال هذه المحادثة؟».

- «نعم».

- «هل كان ذلك في غرفة كبيرة؟».

- «تصل مساحتها لثلاثين قدمًا في كل اتجاه».

- «وهل كنتما في منتصفها؟».

- «نعم».

- «وهل كنتما تتحدثان بصوت منخفض؟».

- «صوت عمي دائمًا ما يكون منخفضًا، وأنا تقريبًا لم أتحدث على الإطلاق».

قال هولمز: «شكرًا لك»، ثم أغلق عينيه مضيفًا: «رجاءً، أكمل حديثك».

قال: «فعلت ما قاله، وانتظرت حتى غادر جميع الموظفين الآخرين. كان لدى أحد الموظفين في مكتبي، تشارلز جوروت، بعض الأعمال لإنهائها، لذا تركته هناك وذهبت لتناول العشاء. وعندما عدت كان قد رحل. كنت متشوقًا لمواصلة عملي؛ لأنني علمت أن جوزيف في المدينة، وأنه سيسافر إلى ووكينغ في قطار الساعة الحادية عشرة، وكنت أرغب في اللحاق بهذا القطار.

عندما نظرت إلى المعاهدة، رأيت أن عمي لم يبالغ في أهميتها؛ فقد كانت مرتبطة بالتحالف الثلاثي. كما تعلمون أيها السادة، وعدت كل دولة في هذا التحالف بدعم الأخرى إذا تعرض أي منها لهجوم من أية قوة عظمى أخرى. كانت الموضوعات في هذه المعاهدة تتعلق بالبحرية. وفي نهايتها، كانت هناك توقيعات من كبار الشخصيات.

ثم شرعت في عملية نسخها. كانت وثيقة طويلة مكتوبة بالفرنسية، وكانت مكونة من ستة وعشرين قسمًا. قمت بالنسخ بأسرع ما يمكن، ولكن بحلول الساعة التاسعة لم أكن قد نسخت سوى تسعة أجزاء منها. بدا لي أنني لن أفلح في محاولة اللحاق بقطاري، ثم بدأت الشعور بالنعاس، جزئيًا بسبب العشاء وجزئيًا بسبب يوم العمل الطويل، واعتقدت أن فنجانًا من القهوة قد يساعد على إيقاظ عقلي. كان لدى الحاجب غرفة صغيرة عند أسفل الدرج، وكان معتادًا صنع القهوة في موقده لأي من الموظفين الذين يعملون حتى وقت متأخر، فقرعت الجرس لاستدعائه.

مدهش!! كانت امرأة هي من استجابت لقرع الجرس، وكانت كبيرة الحجم، ومجعدة الوجه، وطاعنة في السن، أوضحت لي أنها زوجة الحاجب، فطلبت منها أن تعد لي بعض القهوة».

وتابع: «كتبت جزأين آخرين، ثم نهضت ومشيت جيئة وذهابًا لتنشيط ساقي. لم تكن قهوتي قد أتت بعد، وتساءلت عما قد يكون سبب التأخير. ثم فتحت الباب، ودلفت إلى الممر خافت الإضاءة، هذا الممر هو المخرج الوحيد، وينتهي بدَرج توجد الغرفة الخاصة بالحاجب عند نهايته من الأسفل. وفي منتصف الدَّرج، توجد بسطة صغيرة تؤدي إلى ممر آخر يتقاطع بزاوية قائمة مع الدَّرج. هذا الممر الثاني يؤدي إلى باب جانبي يستخدمه الموظفون كاختصار عند القدوم من شارع تشارلز. إليك خريطة للمكان».

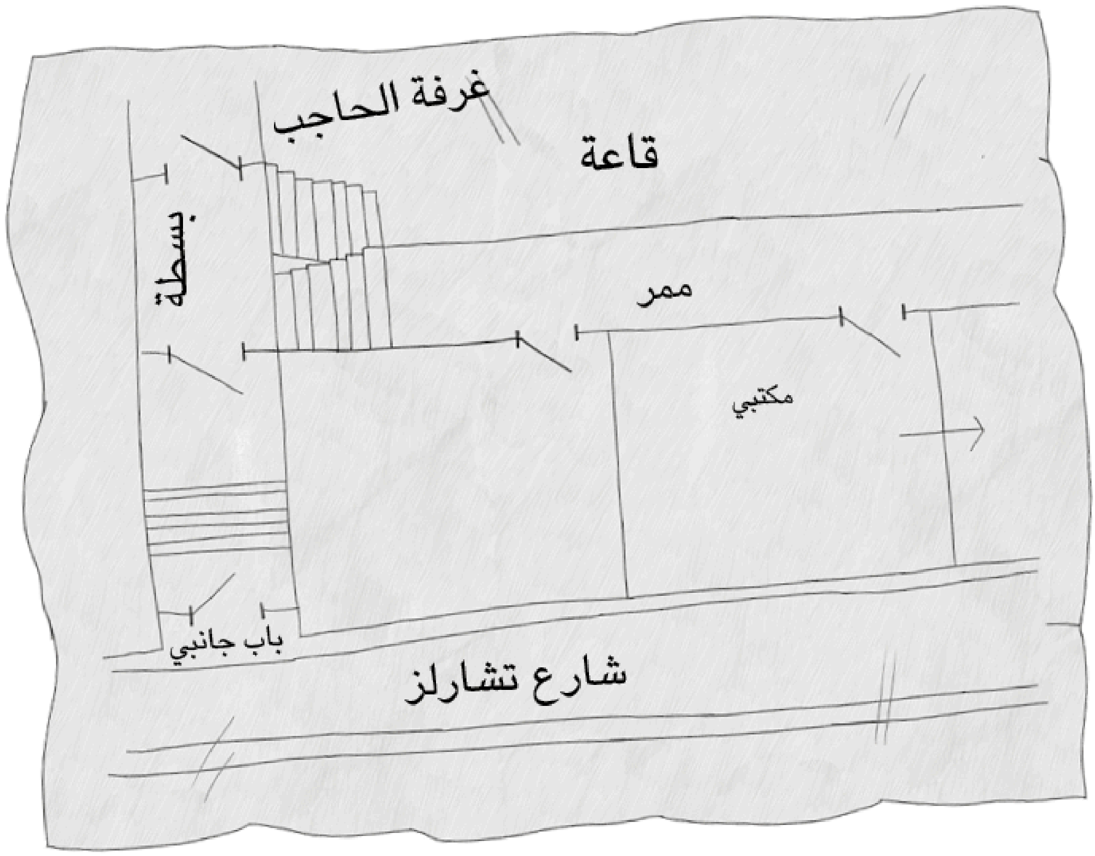
الحاجب

هو شخص جدير بالثقة، عادة ما يكون من أفراد القوات المسلحة المتقاعدين أو المصابين الذين يحصلون على عمل كحاجب أو ضابط أمن. إنهم مخلصون جدًّا لأرباب عملهم؛ ولتمتعهم بالفطنة وقوة الملاحظة، فهم يعدون شهودًا مثاليين.

وقد أعطانا قطعة من الورق عليها رسم أنيق يوضح أجزاء المبنى التي وصفها.

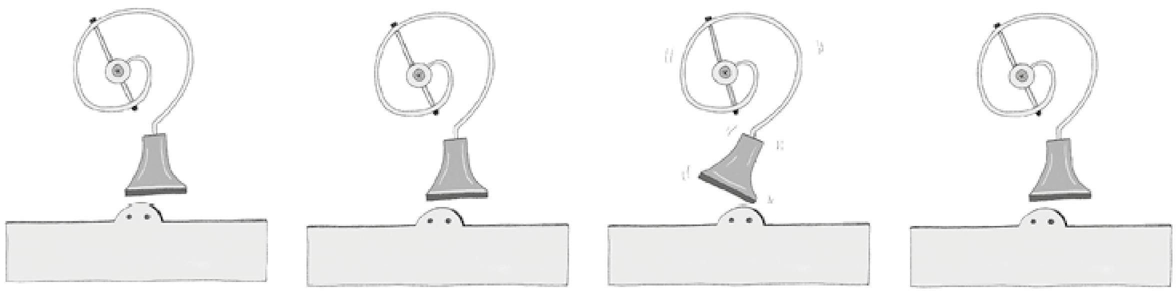
قال هولمز: «شكرًا لك. أعتقد أنني أتفهمك جيدًا».

تابع فيلبس: «هذا هو المكان الذي بدأ فيه اللغز. نزلت الدَّرج، ودلفتُ إلى القاعة، وهناك، وجدت الحاجب مستغرقًا في النوم داخل الغرفة، وكانت الغلاية تغلي بشدة على الموقد. أخذت الغلاية وأطفأت الموقد؛ لأن الماء كان يتدفق على الأرض. وعندما هممت بهز الرجل النائم، رن جرس فوق رأسه بصوت عالٍ، فاستيقظ مفزوعًا.



قال وهو ينظر إليّ متحيرًا: «سيد فيلبس!».

فأجبته: «جئت بنفسي لرؤية ما إذا كان قد تم تجهيز قهوتي أم لا».



القائمة الرئيسية

قاعة الطعام

مكتب الكاتب

مكتب الوزير

فقال: «كنت أغلي المياه في الغلاية عندما غفوت يا سيدي،» ثم نظر إليّ وإلى الجرس المهتز بنظرة من الذهول.

سألني: «إذا كنت قد أتيت إلى هنا يا سيدي، فمن الذي قرع الجرس؟».

فصـــرخـــت متعـــــــجبًا: «الجــرس؟!»، وسألته: «مـــــاذا كان هذا الجرس؟».



- «إنه جرس الغرفة التي تعمل فيها يا سيدي!».

شعرت كأن يدًا باردة تعتصر قلبي؛ لقد كان هناك شخص ما في تلك الغرفة حيث كانت المعاهدة المهمة موضوعة على الطاولة. ركضت باهتياج لأعلى الدَّرج وعلى طول الممر. لم يكن هناك أحد في الممر يا سيد هولمز. لم يكن هناك أحد في الغرفة. كان كل شيء كما تركته بالضبط باستثناء أن المعاهدة قد تم أخذها؛ كانت النسخة موجودة، واختفى الأصل!».

الفصل الثالث

جلس هولمز على كرسيه، وفرك يديه معًا، واستطعت رؤية أن المشكلة قد جذبت اهتمامه. غمغم قائلًا: «ماذا فعلت بعد ذلك؟».

- «أدركت أن اللص لا بد أنه صعد الدَّرج من الباب الجانبي؛ إذ كنت سألتقي به إذا كان قد جاء من الطريق الآخر».

- «هل تأكدت من عدم اختبائه من الغرفة، أو في الممر؟».

- «هذا مستحيل تمامًا. لا يمكن لفأر أن يختبئ في الغرفة أو في الممر. لا يوجد مكان للاختباء على الإطلاق».

- «شكرًا لك، تفضل بإكمال حديثك».

- «رأى الحاجب وجهي الشاحب، فتبعني إلى الطابق العلوي. هُرع كلانا على طول الممر، ونزلنا الدرج المؤدي إلى شارع تشارلز. كان الباب في الأسفل مغلقًا، لكنه لم يكن موصدًا، ففتحناه واندفعنا للخارج. أتذكر بوضوح أنه في أثناء فعلنا ذلك كانت هناك ثلاث دقات من ساعة قريبة؛ إذ كانت الساعة العاشرة إلا الربع».



قال هولمز وهو يدون ملاحظة على سوار قميصه: «هذه ملاحظة مهمة جدًّا».

عرضت الآنسة هاريسون على فيلبس بعض الماء، فسكت لأخذ رشفة.

ثم تابع: «كان الليل مظلمًا جدًّا وكان يتساقط مطر خفيف ودافئ. لم يكن هناك أحد في شارع تشارلز، ولكن كان هناك الكثير من الازدحام، كالعادة، في طريق وايتهول. هُرعنا على طول الرصيف، وقد وجدنا شرطيًّا في الزاوية البعيدة.



قلت لاهثًا: «لقد تمـــــــت عملية سطـو، وسُرقت وثيقة ذات قيمة كبيرة من وزارة الخارجية. هل مر أي شخص بهذا الطريق؟».

قال: «أقف هنا منذ ربع ساعة يا سيدي»، وتابع: «مر شخص واحد فقط خلال تلك الفترة؛ وهي امرأة طويلة ومسنّة ترتدي شالًا منقوشًا».

هتف الحاجب: «آه، هذه زوجتي. ألم يمر شخص آخر؟».

- «لا، لم يمر أحد سواها».

صاح الحاجب وهو يشد كمي: «إذن لا بد أن اللص قد ذهب من الطريق الآخر».

لكنني لم أكن مقتنعًا بذلك. وزاد من شكوكي المحاولات الكثيرة التي قام بها الحاجب لإبعادي عن هذا الطريق.

فسألت الشرطي: «من أي طريق ذهبت هذه المرأة؟».

- «لا أعلم يا سيدي. لقد لاحظت مرورها، ولكن لم يكن لديَّ أي سبب لمراقبتها. لقد بدت في عجلة من أمرها».

- «كم مر من الوقت على مرورها؟».

- «أوه، ليس الكثير من الدقائق».

- «هل مرت منذ خمس دقائق؟».

- «حسنًا، لن تزيد الفترة على خمس دقائق على أية حال».

صاح الحاجب قائلًا: «إنك تضيع وقتك فقط يا سيدي»، وأضاف: «ثق بأن امرأتي العجوز لا علاقة لها بالأمر، واتجه إلى الطرف الآخر من الشارع. حسنًا، إذا لم تفعل فسأذهب أنا إلى هناك»، قالها وانطلق في الاتجاه الآخر.

لكنني لحقت به، وأمسكت به من كمه.

وسألته: «أين مكان إقامتكما؟».

فأجابني: «المبنى رقم 16، شارع إيفي لاين، منطقة بريكستون»، وتابع: «لكن لا تنخدع بالرائحة الزائفة يا سيد فيلبس. تعال إلى الطرف الآخر من الشارع، وشاهد ما إذا كان بإمكاننا سماع أي شيء».



«لم أكن لأخسر شيئًا باتباع نصيحته. سارعنا مع الشرطي في الاتجاه الآخر، فقط لنجد الشارع مليئًا بالناس القادمين والمغادرين. كان الجميع يسرعون للوصول إلى وجهاتهم في مثل هذه الليلة الممطرة، ولم يتبقَّ هناك أحد لنسأله.

عدنا إلى المكتب وفتشنا الدرج والممر دون نتيجة. كان الممر المؤدي إلى الغرفة يحتوي على مشمع أرضية كريمي اللون يظهر العلامات بسهولة بالغة. قمنا بفحصه بعناية، ولكننا لم نعثر على آثار أقدام».

- «هل كانت تمطر طوال المساء؟».

- «منذ نحو الساعة السابعة».

- «فكيف إذن لم تترك المرأة التي دخلت الغرفة نحو الساعة التاسعة أي أثر بحذائها الموحل؟».

- «أنا سعيد لأنك أثرت هذه النقطة. لقد راودني التفكير نفسه في ذلك الوقت. إن عمال النظافة معتادون خلع أحذيتهم في الغرفة التابعة للحاجب وارتداء أحذية ناعمة».

- «لم تكن هناك علامات إذن، رغم أن الليلة كانت ممطرة؟ من المؤكد أن تسلسل الأحداث يعد ذا أهمية كبيرة جدًا. ماذا فعلت بعد ذلك؟».

- «فحصنا الغرفة أيضًا».



وأضاف: «لم يكن هناك إمكانية لوجود باب سري، وتوجد نافذتان على ارتفاع ثلاثين قدمًا عن الأرض، وكانتا موصدتين من الداخل. يمنع السجاد أي احتمال لوجود باب سري، والسقف من النوع الأبيض العادي. أتحدى بحياتي أن أيًّا كان من سرق أوراقي قد دخل من الباب الأمامي».

سأل هولمز: «ماذا عن المدفأة؟».

- «لا توجد مدفأة، بل توجدغرفة للموقد. ويتدلى حبل الجرس على يمين مكتبي. لا بد أن الشخص الذي رن الجرس قد تقدم مباشرة إلى المكتب للقيام بذلك. ولكن لماذا يرغب أي مجرم في قرع الجرس؟ إنه لغز صعب جدًّا».

انتظرت أن يتعارض معه هولمز؛ فلا يوجد لغز غير قابل للحل بالنسبة لصديقي.

قال هولمز: «من المؤكد أن الحادث كان غير عادي، ما خطواتك التالية؟ أعتقد أنك قمت بفحص الغرفة، على ما أفترض، لمعرفة ما إذا كان الدخيل قد ترك أي آثار - أي سيجار، أو قفاز، أو دبوس شعر، أو أي خيط للحل، أليس كذلك؟».

- «لم يكن هناك شيء من هذا القبيل».

- «ولا حتى رائحة؟».

- «حسنًا، لم أفكر في ذلك قط».

- «آه، رائحة التبغ كانت ستعني الكثير بالنسبة لنا في مثل هذا التحقيق».

- «أنا لا أدخن أبدًا، لذلك أعتقد أنني كنت سألاحظ وجود أية رائحة للتبغ. لم يكن هناك أي خيط من أي نوع. الحقيقة الوحيدة هي أن زوجة الحاجب - السيدة تانجي - قد أسرعت في مغادرة المكان. لم يستطع زوجها إعطاء أي تفسير سوى أن ذلك كان الوقت الذي كانت

تذهب فيه دائمًا إلى المنزل. وقد اتفقت أنا والشرطي على أن أفضل خطة لنا هي القبض عليها قبل أن تتمكن من التخلص من الأوراق، ذلك إذا كانت بحوزتها.

ثم تابع فيلبس سرد القصة: «وصل الإنــــذار إلى شرطة سكـوتلاند يارد بحلول هذا الوقت، وجـــــاء المحقق فوربـــس على الفــور وتـــولى القضية. قمنـــا باستئــجار عربة، وفـــي غضون نصــف ســاعة، كنا فــي منـــزل الحـــاجب. فتحت الباب امرأة شابة ثبت أنها الابنة الكبرى للسيدة تانجي. لم تكن والدتها قد عادت بعد، لذلك دخلنا غرفة الاستقبال للانتظار.



بعد نحو عشر دقائق، كان هناك طرْق على الباب. هنا ارتكبنا خطأً فادحاً؛ فبدلًا من فتح الباب بأنفسنا، سمحنا للفتاة بأن تفعل ذلك، سمعناها تقول: «أمي، هناك رجلان في المنزل ينتظران رؤيتك»، وبعدها على الفور سمعنا طقطقة أقدام تندفع عبر الممر.

دفع فوربس الباب، وركض كلانا إلى المطبخ، لكن المرأة كانت قد وصلت قبلنا. حدقت إلينا بعينين متحديتين، لكنها بعد ذلك تعرفت عليَّ فجأة، وظهرت على وجهها تعابير الدهشـــة المطلقة.



هتفت: «يا إلهي، سيد فيلبس من المكتب!».

سأل الســـيد فــوربس: «من الذي كنت تعتقدين وجوده عندما هربت منا؟».

قالـــــــت: «اعتقدت أنك محصل الديون»، وأردفت: «لقد واجهنا بعض المشكلات مع صاحب متجر».

رد فوربس: «هذه ليست إجابة جيدة بما فيه الكفاية»، وأضاف: «لدينا سبب لاعتقاد أنك أخذت وثيقة مهمة من وزارة الخارجية، وأنك ركضت إلى هنا للتخلص منها. يجب أن تعودي معنا إلى مقر سكوتلاند يارد ليتم تفتيشك».

تذمرت من الأمر، لكننا لم نكترث لها. تم إحضار عربة أجرة، وركبنا فيها نحن الثلاثة عائدين إلى مقر شرطة سكوتلاند يارد. كنا قد قمنا أولًا بفحص المطبخ، وقد حرصنا على فحص محرقة المطبخ، لنرى ما إذا كانت قد ألقت الأوراق فيها عندما كانت بمفردها. مع ذلك، لم تكن هناك أية علامات على وجود رماد أو قصاصات.

عندما وصلنا إلى سكوتلاند يارد، تم تسليم السيدة إلى فريق من الشرطة لتفتيشها. انتظرتُ على أحر من الجمر حتى عادوا بتقريرهم؛ وللأسف.. لم يكن هناك أي وجود للأوراق».

الفصل الرابع

في هذه المرحلة من القصة، بدا فيلبس مضطربًا جدًّا، لـدرجـة أنـي شعـرت بالشفقة الشديدة عليه. أظهر وجه هولمز مزيجًا من الإثارة والترقب مع قليل من الشفقة. لا شك أنه كان يتوقع حل اللغز وتبرئة فيلبس من هذه الجريمة.

تابع فيلبس: «لأول مرة يا سيد هولمز، يصعقني الرعب الكامل بكل قوته؛ إذ إنه حتى ذلك الحين كنت متأكدًا جدًّا من استعادة المعاهدة في الحال، لدرجة أنني لم أجرؤ على التفكير فيما سيحدث إذا فشلت في ذلك. والآن لم يكن هناك شيء آخر يجب القيام به سوى التفكير في موقفي. كان الأمر مريعًا. فكرت في عمي وزملائه في مجلس الوزراء؛ وفكرت في العار الذي جلبته عليه وعلى كل أقاربي. حتى لو كان هذا حادثًا غير عادي، فلا يتم قبول أي تبريرات للحوادث عندما تكون المصالح الدبلوماسية على المحك. لقد دُمرتُ - دُمرتُ بشكل مخجل وميئوس منه.

لا أعرف ماذا فعلــت، لكــنني بالتأكيد تسببت في حـــــدوث أزمة. أتذكر بشكل خـافت احـــتشاد مجمـوعة مـــــن رجـال الشـرطة حـولي ومحاولـتهم مساعـــــدتي، وقـــد قادني أحدهم إلــى ووترلو، وصعد بي إلى قطار ووكينغ. لحسن الحظ، كان الدكتور فيرير، الذي يعيش بالقرب مني، في القطار نفسه، وقد تولى المسئولية عني. كان من الجيد أنه فعل ذلك، لأنني أصبت بنوبة هلع في المحطة، وكدت أُصاب بالجنون بحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى المنزل.



يمكنك تخيل الكيفية التي سارت بها الأمور عندما أيقظهم رنين الطبيب ووجدوني في هذه الحالة. لقد تحطم قلب آني المسكينة. سمع الدكتور فيرير ما يكفي من المحقق في المحطة ليتمكن من إعطائهم فكرة عما حدث. كان من الواضح للجميع أنني لن أتعافى بسرعة، لذلك تم إخراج جوزيف من غرفة النوم هذه، وتم تحويلها إلى غرفة للعناية الطبية بي.

مكثتُ هنا أكثر من تسعة أسابيع وأنا أعاني حمى الدماغ. لولا الآنسة هاريسون ورعاية الطبيب، ما كان ليمكنني التحدث إليكم الآن. لقد قامت برعايتي في النهار، ووظفت ممرضة لترعاني في الليل. أخذ عقلي ينشط مجددًا ببطء، وقد استعدت ذاكرتي فقط خلال الأيام الثلاثة الماضي. في بعض الأحيان، أتمنى لو أنني لم أستعدها قط.

أول شيء فعلته هو مراسلة المحـقـق، السيد فوربس، وقد أكد لي أنه تم عمل جميع التحقيقات، ولكن لم يتم التوصل لأي خيط للحل. تم أيضًا استجواب الحاجب وزوجته دون التوصل لأي شيء. اشتبهت الشرطة أيضًا في جوروت، الموظف الذي، كما قد تتذكر، عمل في المكتب حتى وقت متأخر في تلك الليلة، لكنني لم أبدأ العمل حتى رحل، لذا لم يجد السيد فوربس شيئًا يورطه في الأمر بأي شكل من الأشكال.

لذا لجأت إليك يا سيد هولمز، كونك الأمل الأخير لي. إذا خذلتني، فسأخسر سمعتي ووظيفتي إلى الأبد».

ثم ألقى برأسه وسط وسائده مجددًا؛ إذ كان متعبًا جدًّا بعد هذا الخطاب الطويل، وقد أعطته ممرضته بعض الأدوية.

جلس هولمز صامتًا، مع إغماض عينيه وإلقاء رأسه للخلف.



كان يبدو للشخص الغريب كأنه لا ينتبه، لكنني كنت أعرف هذا التعبير؛ لقد كان مستغرقًا في تفكير عميق.

ثـــم قـــال أخيرًا: «كان بيـانك مفصلًا جـدًّا. لقـــد تركـت لـــي عــددًا قليلًا جدًّا مــن الأسئلــة التـــي يمكنني طرحها. إليك أحـــدها، وهو ذو أهميـــة قصوى رغــــم ذلك؛ هل أخبرت أي شخص بأن عليك أداء هذه المهمة الخاصة؟».

- «لا».

- «ولا الآنسة هاريسون هنا، على سبيل المثال؟».

- «لا، فلم أرجع إلى ووكينغ منذ أن تلقيتُ الأمر بالمهمة وحتى بدء العمل عليها».

- «ألم يجئ أحد من أفراد عائلتك أو أصدقائك لزيارتك؟».

- «بلى».

- «هل يعلم أي منهم الطرق المؤدية إلى مكتبك؟».

- «نعم، بالتأكيد، فقد تم اصطحابهم جميعًا إلى المكتب، وقاموا بالسير في محيطه».

- «مع ذلك، بالطبع، كونك لم تقل شيئًا لأي شخص عن المعاهدة، فهذه الاستفسارات تعد غير مجدية».

- «لم أقل أي شيء».

- «هل تعلم أي شيء عن الحاجب؟».

- «لا شيء سوى أنه جندي قديم».

- «بأي كتيبة؟».

- «حرس كولدستريم».

قال هولمز: «شكًرا لك»، وأضاف: «لا شك في أنه يمكنني الحصول على تفاصيل من فوربس. إن السلطات الرسمية تعد ممتازة في جمع الحقائق، على الرغم من أنها لا تستخدمها دائمًا بشكل مفيد». ثم، بشكل مفاجئ لنا جميعًا، قال: «إن الورد شيء جميل!».

لقد سار هولمز متجاوزًا الأريكة إلى النافذة المفتوحة، وأمسك ساق وردة طحلب متدلية. كان ذلك جانبًا جديدًا من شخصيته بالنسبة لي؛ لأنني لم أره قط من قبل يُظهر أي اهتمام بالأشياء الطبيعية.

وأضاف: «كل الأشياء الأخرى - قوتنا، ورغباتنا، وطعامنا - هي ضرورات للحياة. أما هذه الوردة فهي شيء إضافي؛ فرائحتها ولونها يعززان الحياة، ولكن ليسا شيئين ضروريين. يمكننا إيجاد الراحة في العالم الطبيعي».



نظر بيرسي فيلبس وخطيبته إلى هولمز بدهشة وقدر كبير من خيبة الأمل على وجهيهما، وقد وقف حالمًا مع وضع وردة الطحلب بين أصابعه.

مرت بضع دقائق قبل أن تتحدث الشابة، قائلة:

«هل ترى أي أمل في حل هذا اللغز يا سيد هولمز؟».

قال وهو يعود إلى الواقع مجددًا: «آه، اللغز»، وتابع: «القضية معقدة جدًّا بالتأكيد، لكن يمكنني أن أعدك بأنني سأبحث في الأمر وأعْلمك بأي أفكار لديّ».

- «هل ترى أي خيط للحل؟».

- «هناك سبعة خيوط للحل، لكن بالطبع يجب أن أختبرها كلها قبل معرفة قيمة كل منها».



قالت: «إذن، اذهب إلى لندن، وقم باختبار استنتاجاتك».

قال هولمز: «نصيحتك ممتازة يا آنسة هاريسون»، وتابع: «أعتقد يا واطسون أنه لا يمكننا فعل شيء أفضل من ذلك. لا تسمح لنفسك بتبني آمال كاذبة يا سيد فيلبس. القضية متشابكة جدًا».

قال فيلبس: «لن أرتاح قبل رؤيتك مرة أخرى».

- «حسنًا، سأعود في القطار نفسه غدًا، على الرغم من أنه من المرجح أنه لن يكون لديَّ أي شيء لأبلغكما به».

قال بيرسي: «شكرًا لوعدك بالمجيء مجددًا»، وأردف: «من دواعي سروري معرفة أن شيئًا ما يتم القيام به. بالمناسبة، تلقيتُ رسالة من اللورد هولدهيرست».

- «آه، وماذا يقول فيها؟».

- «كان باردًا، لكنه لم يكن قاسيًا. يمكنني القول إن مرضي الشديد منعه من أن يكون كذلك. لقد أكد مجددًا على مدى خطورة الأمر، لكنه أضاف أنه لن يتم اتخاذ أية خطوات بشأن وظيفتي حتى أعود إلى حالتي الصحية الجيدة مرة أخرى».

قال هولمز: «حسنًا، يبدو أنه عقلاني ومراعٍ للموقف»، ثم وجه لي الكلام قائلًا: «لنذهب يا واطسون، فهناك الكثير من العمل ينتظرنا في المدينة».

الفصل الخامس

قادنا السيد جوزيف هاريسون إلى المحطة، وسرعان ما عدنا إلى لندن بالقطار.

غرق هولمز في تفكير عميق ولم يتفوه بأية كلمة حتى تجاوزنا تقاطع كلافام.

كنت قد غرقت في التفكير أنا أيضًا عندما تحدث هولمز، وهو يحدق إليَّ قائلًا: «هل يتناول ذلك الرجل، فيلبس، الكحوليات؟».

- «لا أعتقد ذلك».

- «وأنا أيضًا لا أعتقد ذلك، ولكن يجب أن نأخذ في الاعتبار كل الاحتمالات. من المؤكد أن الرجل المسكين قد دخل مياهًا عميقة جدًّا، ويتعلق السؤال الآن بما إذا كنا سنستطيع إيصاله إلى الشاطئ أم لا. ما رأيك في الآنسة هاريسون؟».

- «إنها امرأة ذات شخصية قوية».

- «نعم، إنها من النوع الجيد. هي وشقيقها هما الابنان الوحيدان لمالك شركة حدادة في نورثمبرلاند. ارتبط فيلبس بها عندما سافر في الشتاء الماضي، وقد أتت إلى هنا لتتعرف على عائلته. رافقها أخوها جوزيف في هذه الرحلة. ثم جاءت هذه المشكلة؛ لذا فقد مكثت لرعاية فيلبس، ومكث شقيقها أيضًا. لقد طرحت بعض الاستفسارات، كما ترى. ولكن اليوم يجب أن يكون يوم التحقيقات».



لم أخطط لقضاء اليوم مع هولمز،

فهممت بالكلام: «إن عيادتي...»

قاطعني هولمز بقليل من الحدة، قائلًا: «أوه، إذا وجدتَ أن قضاياك الخاصة أكثر إثارة للاهتمام من قضيتي...»

فأكملت: «كنت سأقول إن عيادتي لن تتضرر إذا غبت يومًا أو يومين، نظرًا لأننا في وقت هادئ من العام».

فقال مبتسمًا: «ممتاز»، وأضاف: «إذن سننظر في هذه المسألة معًا. أعتقد أننا يجب أن نبدأ برؤية فوربس. ربما يمكنه إخبارنا بكل التفاصيل التي نريدها حتى نعرف كيفية التعامل مع هذه القضية».

- «ألم تقل إن لديك خيوطًا للحل؟».

- «حسنًا، لدينا العديد منها، لكن لا يمكننا اختبار قيمتها إلا من خلال مزيد من الاستفسار. أصعب جريمة يتم حلها هي الجريمة التي ليس لها هدف. وهذه الجريمة ليست بلا هدف. ومن قد يستفيد منها؟ هناك السفير الفرنسي، وهناك السفير الروسي، بالإضافة لأي شخص قد يبيعها لأي منهما، وهناك اللورد هولدهيرست».

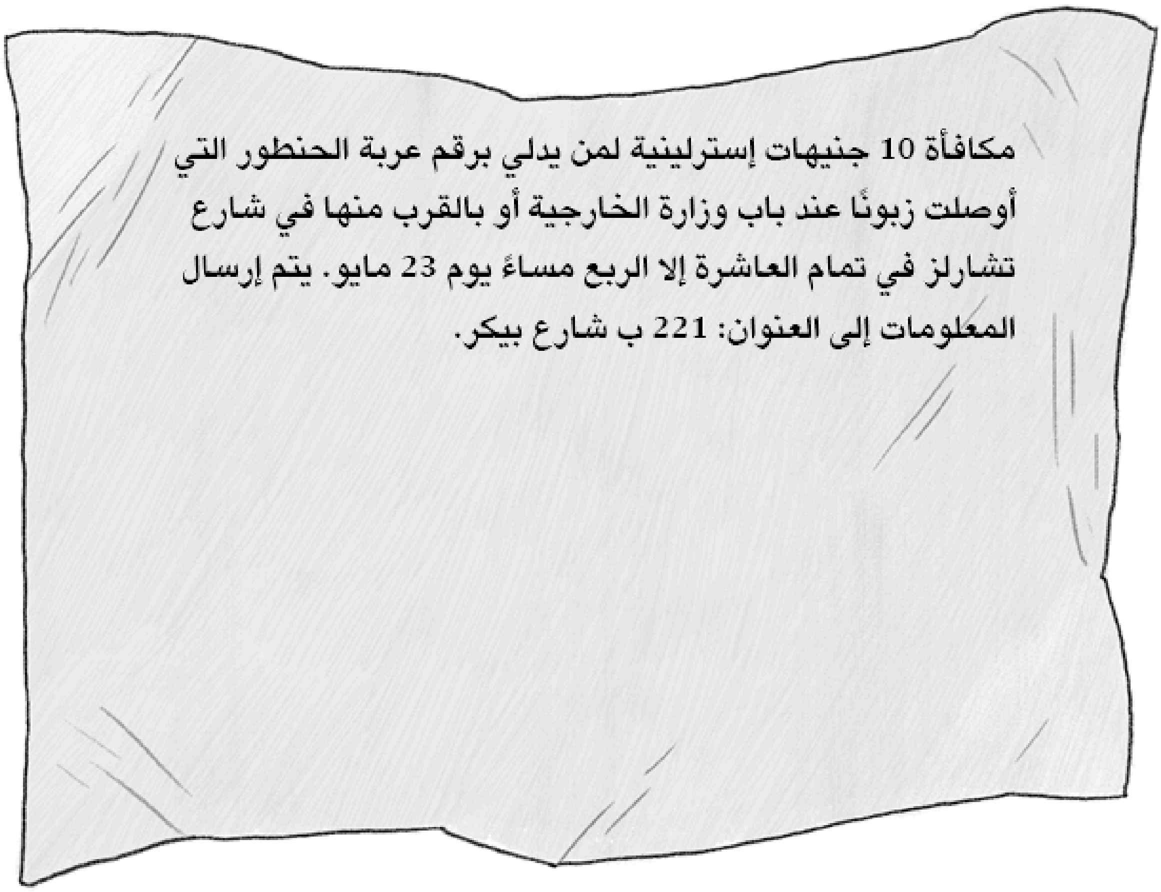
- «اللورد هولدهيرست!».

- «حسنًا، من الممكن أن يجد السياسي نفسه في وضع قد لا يأسف فيه من تدمير مثل هذه الوثيقة».

- «بالتأكيد ليس سياسيًا بسجله المشرف؟».

- «إنه احتمال لا يمكننا تجاهله. سنرى السيد النبيل اليوم ونكتشف ما إذا كان بإمكانه إخبارنا بأي شيء. في الوقت ذاته، بدأتُ بالفعل عمل الاستقصاءات الخاصة بي».

- «بالفعل؟».


مكافأة 10 جنيهات إسترلينية لمن يدلي برقم عربة الحنطور التي أوصلت زبونًا عند باب وزارة الخارجية أو بالقرب منها في شارع تشارلز في تمام العاشرة إلا الربع مساءً يوم 23 مايو. يتم إرسال المعلومات إلى العنوان: 221 ب شارع بيكر.

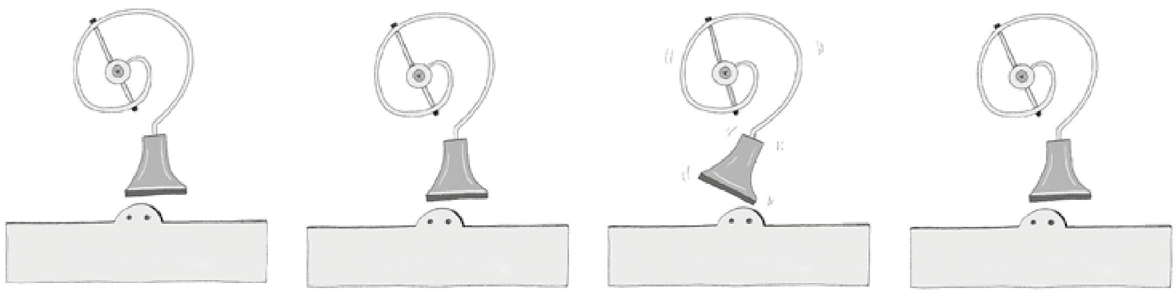
- «نعم، لقد أرسلت برقية من محطة ووكينغ إلى صحيفة مسائية في لندن. سيظهر هذا الإعلان فيها».

وأعطاني ورقة مقطوعة من دفتر ملاحظات مكتوبًا عليها بالقلم الرصاص:

- «لماذا أنت متأكد أن اللص قد ذهب بعربة حنطور؟».

- «إذا لم يكن الأمر كذلك، فلا ضرر من الإعلان. ولكن إذا كان السيد فيلبس محقًّا في قوله إنه لا توجد أماكن للاختباء سواء في الغرفة أو في الممرات، فيجب أن يكون الشخص قد جاء من الخارج. وإذا جاء من الخارج في مثل هذه الليلة الممطرة، ولم يترك أي أثر للوحل على الأرضية، فمن المحتمل جدًّا أنه جاء في عربة حنطور».

- «يبدو أمرًا معقولًا».



القاعة الرئيسية

مكتب الكاتب

مكتب الوزير

قاعة الطعام

- «هذا هو أحد الخيوط التي تحدثت عنها. قد يقودنا إلى شيء ما. وبعد ذلك، بالطبع، هناك الجرس - وهو الشيء الأكثر تميزًا في القضية. لماذا قام اللص برن الجرس؟ هل اللص هو من فعل ذلك بدافع التبجح؟ أم فعله شخص آخر مع اللص من أجل منع الجريمة؟ أم كان حادثًا عرضيًا؟ أم كان...؟». عاد هولمز مجددًا إلى حالة التفكير الصامت التي كان قد استفاق منها، لكنني كنت معتادًا مزاجه، وقد بدا لي أن بعض الاحتمالات الجديدة قد طرأت على تفكيره فجأة.

الفصل السادس

كانت الساعة الثالثة وعشرين دقيقة عندما وصلنا إلى محطتنا. وبعد تناول وجبة غداء سريعة في البوفيه، واصلنا السير في الحال إلى مقر سكوتلاند يارد. كان هولمز قد أرسل بالفعل برقية إلى فوربس، وقد وجدناه ينتظر مقابلتنا. كان رجلًا ضئيلًا ذا تعبيرات وجهية حادة وغير ودود إلى حد ما. كان سلوكه شديد البرودة تجاهنا، خاصة عندما علم سبب مجيئنا.

قال بفتور: «لقد سمعت بأساليبك من قبل يا سيد هولمز»، وتابع: «إن كل ما تفعله هو استخدام جميع المعلومات التي يمكن أن توفرها لك الشرطة ثم محاولة إنهاء القضية بنفسك، وجعل الشرطة تبدو فاشلة».

قال هولمز: «على العكس؛ فمن أصل 53 حالة، ظهر اسمي في أربع حالات فقط، وقد حظيت الشرطة بكل الثناء على تسع وأربعين حالة. لا ألومك على عدم معرفة ذلك؛ فأنت شاب وعديم الخبرة. ولكن إذا كنت ترغب في النجاح في مهامك الجديدة، فعليك العمل معي، وليس ضدي.

قال المحقق، وقد تبنى فجأة لهجة أكثر ودية: «سأكون سعيدًا جدًّا بمنحك معلومة أو اثنتين»، مضيفًا: «فبالتأكيد لم أحصل على مديح لعدم حل القضية حتى الآن».



- «ما الخطوات التي اتخذتها؟».

- «لقد قمنا بتتبع تانجي، الـــحـــاجب. لقد غادر كتيبة الـــحرس مـــع شهادة حسن سير وسلوك، ولم نستطع إيجاد أي شيء ضده. رغم ذلك، فإن زوجته أسوأ كثيرًا. أعتقد أنها تعرف أكثر مما تبديه».

- «هل قمت بتتبعها؟».

- «فوَّضنا إحدى نسائنا لمراقبتها. إن السيدة تانجي تشرب الكحوليات، وقد حقق معها المفتش الخاص بنا مرتين ولم يصل لأي شيء».

- «حسب معرفتي، هناك محصلو ديون يطالبـــونهم بتســـديد بعض الديون، أليس كذلك؟».





- «بلـــى، ولــكنهــم قــامــوا بتسديد ديونهم».

- «من أين حصلوا على المال؟».

- «حصلوا عليه بطريقة شرعية؛ فقد حصل الحاجب على رواتبه، ولم تكن هناك أية علامة للثراء المفاجئ».

- «ماذا قالت زوجته عندما سألتها حول سبب ردها على الجرس عندما رن السيد فيلبس؟».

- «قالت إن زوجها كان متعبًا جدًّا، ورغبت في مساعدته».

- «حسنًا، من المؤكد أن هذا سيتفق مع وجوده بعد ذلك بقليل نائمًا على كرسيه. ألا يوجد دليل على أن لهما علاقة بالوثائق المفقودة؟ هل سألـتها لماذا أسرعت بالمغادرة في تلـك الليلة؟».

- «كانت متأخرة عن المعتاد، وقد أرادت العودة إلى المنزل».

- «هل أخبرتها بأنك أنت والسيد فيلبس قد تحركتما بعدها بعشرين دقيقة على الأقل، ووصلتما إلى منزلها قبلها؟».

- «عللت ذلك باختلاف السرعة بين الحافلة وعربة الحنطور».

- «هل أوضحتْ سبب دخولها المطبخ عند وصولها إلى منزلها؟».

- «لأنها تحتفظ هناك بالمال اللازم لدفعه لمحصلي الديون».

- «لديها إجابة لكل شيء تقريبًا. هل سألتها عما إذا كانت قد قابلت أي شخص أو شاهدت أي شخص يتسكع في شارع تشارلز عندما غادرت؟».

- «لم تر أحدًا سوى الشرطي».

- «حسنًا، يبدو أنك استجوبتها جيدًا. ماذا فعلت أيضا؟».

- «تمت متابعة الكاتب، جـوروت، طوال هذه الأسابيع التسعة، لكن دون نتيجة. لا يمكننا اتهامه بأي شيء».

- «هل هناك شيء آخر؟».

- «حسنًا، لا يوجد شيء آخر يمكننا فعله - لا يوجد دليل من أي نوع».

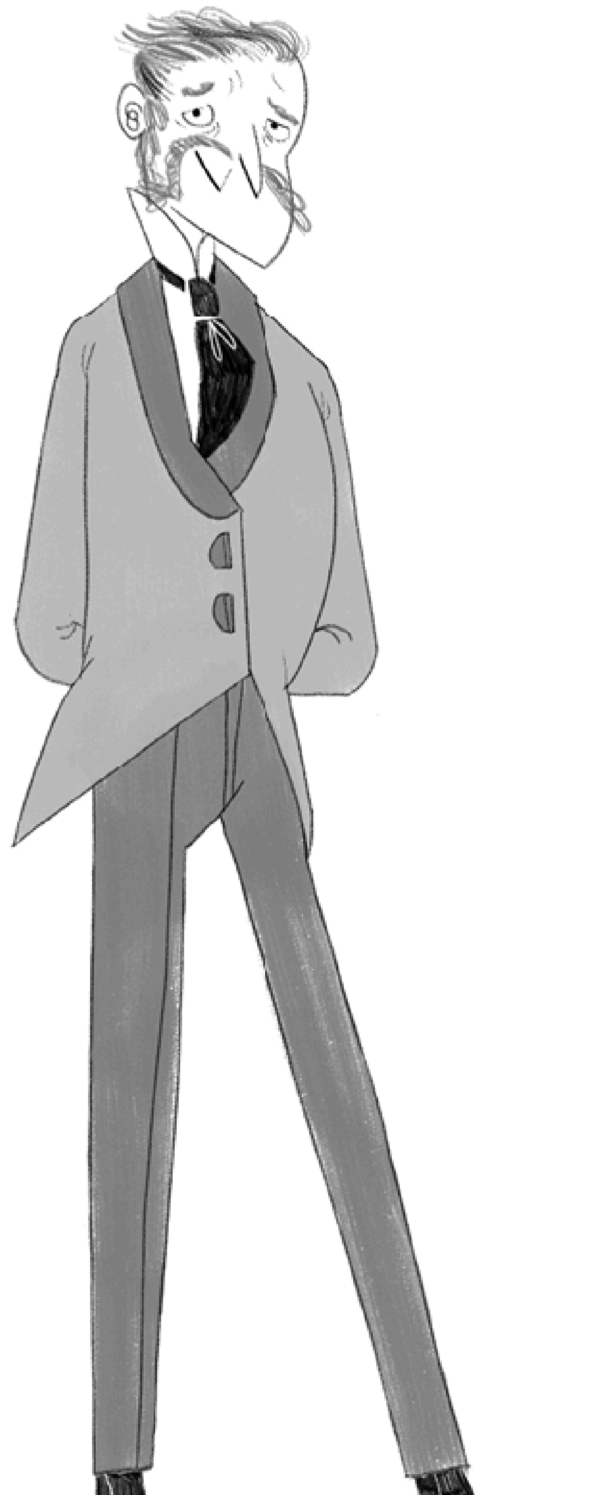
- «هل لك وجهة نظر حول كيفية رن الجرس؟».

هز فوربس رأسه قائلًا: «حسنًا، يجب أن أعترف بأن هذا الأمر يفوق قدراتي التحليلية. أيًّا كان من فعل ذلك، فهو شجاع جدًّا لإطلاق إنذار بهذا الشكل».

- «نعم، كان شيئًا من الغريب فعله»، وأضاف: «شكرًا جزيلًا لك على ما أخبرتني به. إذا تمكنتُ من العثور على الجاني، فسوف أعلمك بهذا. لنذهب يا واطسون».

مع مغادرتنا المكتب، سألته: «إلى أين نحن ذاهبون الآن؟».

- «سنقوم الآن بإجراء مقابلة مع اللورد هولدهيرست، وزير الخارجية، ورئيس الوزراء المستقبلي لإنجلترا».



كنا محظوظين أن اللورد هولدهيرست كان لا يزال موجودًا في مقره في شارع داونينج ستريت. استقبلنا السياسي بلطف من الطراز القديم، وأجلسنا على كرسيين فاخرين على جانـبي المدفأة. وفي أثناء وقوفه على السجادة بيننـا، بشـــخصيته النحيلة الطويلة، وملامحه الحادة، ووجهه الحكيـم، وشعره الرمادي المتجعد، بدا كأنه رجل نبيل فعلًا.

قال مبتسمًا: «إن اسمك مألوف بالنسبة لي يا سيد هولمز»، مضيفًا: «وبالطبع لا يمكنني التظاهر بأني لا أعرف سبب زيارتك. لم يكن هناك سوى حدث واحد في هذا المقر يمكن أن يستدعي انتباهك. هل لي أن أسأل عمن تعمل لأجله؟».

قال هولمز: «أعمل لأجل السيد بيرسي فيلبس».

- «آه، ابن أخي سيئ الحظ! يمكنك أن تفهم أن علاقتنا العائلية تجعل من المستحيل بالنسبة لي حمايته بأي شكل من الأشكال. أخشى أن يكون للحادث تأثير سيئ جدًّا على حياته المهنية».

- «لكن ماذا إذا تم العثور على الوثيقة؟».

قال اللورد: «آه، سيكون الوضع مختلفًا حينها بالطبع».

- «لديّ سؤال أو سؤالان أود طرحهما عليك لورد هولدهيرست».

- «سأكون سعيدًا لإعطائك أية معلومات يمكنني تقديمها لك».

- «هل طلبت من بيرسي فيلبس نسخ الوثيقة في هذه الغرفة ؟».

- «نعم، حدث ذلك في هذه الغرفة».

- «إذن كان من الصعب أن يسمعك أحد، أليس كذلك؟».

نظرتُ حولي بينما كان صديقي يتحدث. كانت غرفة واسعة مكسوة بألواح خشبية. كان المكتب الرئيسي أمام النافذة مع كرسيين أمامه، وخزانتين خشبيتين لحفظ الملفات على طول جدار على اليمين. كانت الخزانة التي تم فيها الاحتفاظ بالمعاهدة بالقرب من المكتب.

أجاب اللورد هولدهيرست: «هذا غير وارد».

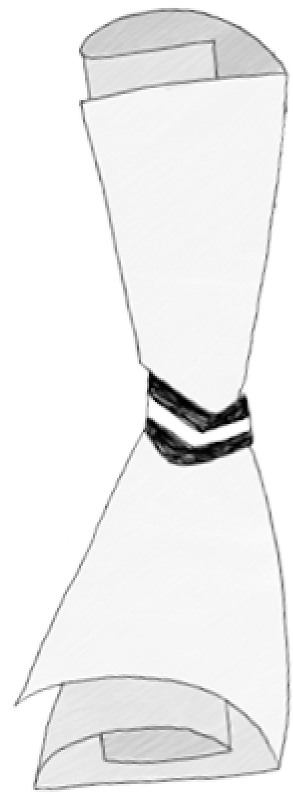
- «هل سبق لك أن ذكرت لأي شخص أنك تنوي نسخ المعاهدة؟».

- «إطلاقًا».

- «هل أنت متأكد؟».

- «بلا شك».

- «حسنًا، نظرًا لأنك لم تخبر أحدًا ولم يخبر السيد فيلبس أحدًا أبدًا، فلا أحد يعرف شيئًا عن هذا الأمر. هذا يعني أن وجود اللص في الغرفة كان عرضيًا؛ شخص رأى فرصة سانحة واغتنمها».



سكت هولمز للحظة، ثم تابع: «هناك نقطة مهمة أخرى أود مناقشتها معك؛ كنتَ تخشى أنه إذا أصبحت تفاصيل هذه المعاهدة معروفة فإنه سيتبع ذلك مشكلات خطيرة، أليس كذلك؟».

مرت ظلمة على وجه السياســي وهو يقول: «مشــكلات خطيرة جدًّا بالفعل».

- «وهـــل حدثت هذه المشكلات؟».

- «ليس بعد».

- «إذا كانت المعاهدة قد وصلت إلى السفارات الفرنسية أو الروسية، فهل تتوقع أن تعرف بهذا؟».

قال اللورد هولدهيرست: «ينبغي ذلك».

- «منذ مرور ما يقرب من عشرة أسابيع لم يتم سماع أي شيء، فهل من العدل افتراض أن المعاهدة لم تصلهم؟».

هز اللورد هولدهيرست كتفيه قائلًا: «سيد هولمز، لا يمكننا تصديق أن اللص قد أخذ المعاهدة من أجل وضعها في إطار وتعليقها على الحائط».



- «ربما ينتظر السعر الأفضل».

- «إذا انتظر المزيد من الوقت فلن يحصل على أي ثمن على الإطلاق؛ وسينتهي كون المعاهدة سرية في غضون بضعة أشهر».

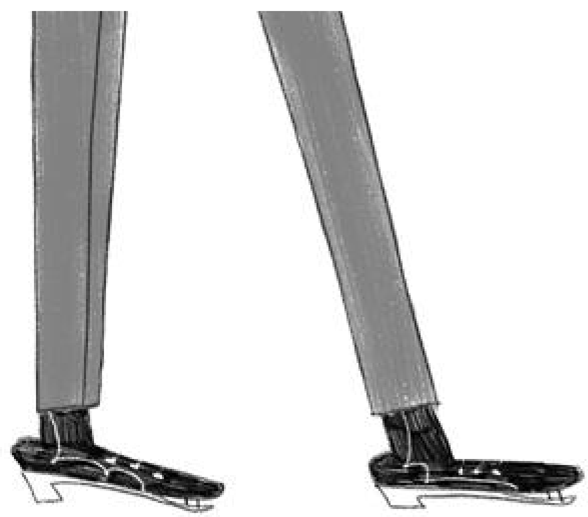
قال هولمز: «هذا أمر مهم جدًّا»، وأضاف: «بالطبع يمكن للمرء افتراض أن اللص قد أصيب بمرض مفاجئ...»

«حمى الدماغ، على سبيل المثال؟». قالها السياسي وهو يلقي نظرة سريعة عليه.

قال هولمز بهدوء: «لم أقل ذلك»، وأردف: «والآن يا لورد هولدهيرست، لقد استهلكنا بالفعل الكثير من وقتك الثمين. نتمنى لكم يومًا سعيدًا».

- «وأنا أتمنى لك كل التوفيق في تحقيقك»، قالها الوزير وهو يشير لنا نحو طريق الخروج من الغرفة.

قال هولمز عندما خرجنا إلى شارع وايتهول: «إنه رجل جيد، لكنه يكافح من أجل الحفاظ على منصبه. إنه بعيد عن الثراء. هل لاحظت أنه قد تم إصلاح حذائه؟ الآن يا واطسون، لن أبقيك بعيدًا عن مرضاك بعد الآن. لن أفعل شيئًا أكثر في هذا اليوم، ما لم تكن لديَّ أية استجابة على إعلان عربة الحنطور الخاص بي، لكنني سأكون ممتنًّا جدًّا إذا كنت ستذهب معي غدًا إلى ووكينغ على القطار نفسه الذي استقللناه اليوم».



وافقت على طلبه، وانطلقنا في اتجاهين مختلفين.

الفصل السابع

في صباح اليوم التالي، التقيت هولمز كما كان مخططًا، وذهبنا معًا إلى ووكينغ. أخبرني بأنه لم تكن هناك استجابة على إعلانه، ولم يكن هناك أي ضوء أمل جديد فيما يتعلق بالقضية. من وجهه الخالي من التعبيرات، لم أستطع معرفة إذا ما كان يشعر بخيبة أمل بسبب عدم إحراز تقدم في القضية. أتذكر أن محادثته كانت تدور حول موضوع مختلف تمامًا.

وجدنا أن عميلنا لا يزال تحت مسئولية ممرضته المتفانية، ولكنه كان يبدو أفضل كثيرًا من ذي قبل؛ فقد نهض بيرسي من الأريكة، وقام بتحيتنا دون صعوبة.

سأل بلهفة: «هل هناك أي أخبار؟».

قال هولمز: «إن تقريري، كما هو متوقع، سلبي»، وتابع: «لقد رأيت فوربس ورأيت عمك. كما قمت أيضًا باستخدام وسيلة أو اثنتين للاستقصاء والتحري، وقد تؤديان إلى شيء ما قريبًا».

- «لم تفقد حماستك إذن؟».

- «إطلاقًا».

هتفت الآنسة هاريسون: «ليباركك الله لقولك ذلك!»، وتابعت: «إذا حافظنا على شجاعتنا وصبرنا، فلا بد أن تظهر الحقيقة».

قال فيلبس وهو جالس على الأريكة: «لدينا ما نخبرك به، أكثر مما كان لديك لتخبرنا به».



- «كنت أتمنى أن يكون لديك شيء لتخبري به».

- «نعم، فقد خضنا مغامرة فـــي أثناء الليل».

وأخذت تعبيرات الجدية تتزايد على وجهه، وظهرت نظرة من الخوف في عينيه وهو يتابع: «بدأت أعتقد أنني مركز مؤامرة كبيرة! إن حياتي مهددة وكذلك سمعتي!».

فهتف هولمز: «آه!».

- «يبدو الأمر كأنه لا يصدق، لأنني، على حد علمي، ليس لديَّ عدو في العالم. ومع ذلك، من تجربة الليلة الماضية لا يمكنني التوصل إلى استنتاج آخر».

- «رجاءً، اسمح لي بسماع ذلك».

- «الليلة الماضية كانت أول ليلة أنام فيها دون ممرضة في الغرفة. شعرت بتحسن كبير لدرجة أنني اعتقدت أنني أستطيع الاستغناء عنها. حسنًا، في حوالي الساعة الثانية صباحًا كنت قد استغرقت في نوم خفيف، ثم أيقظني فجأة صوت ضجيج خافت؛ كان مثل الصوت الذي يصدره الفأر عندما يقضم لوحًا خشبيًا. كنت أستمع إلى هذا الصوت منذ بعض الوقت وأنا أظن أنه كان بالفعل فأرًا. أخذ الصوت في الارتفاع، وفجأة، سمعت صوتًا حادًّا معدنيًّا من النافذة. جلست في دهشة. لا يمكن أن يكون هناك شك في ماهية الأصوات الآن؛ كانت الأصوات الأولى بسبب قيام شخص ما باستخدام أداة في الشق بين إطاري النافذة، والثانية بسبب ضغط المزلاج للخلف».

لقد اندهشت من هذه القصة، لكن هولمز جلس وهو يومئ برأسه قليلًا، كما لو كان يتوقع حدوث ذلك.

أكمل بيرسي: «كانت هناك وقفة، كما لو أن الشخص كان ينتظر ليرى ما إذا كانت الضوضاء قد أيقظتني أم لا. ثم سمعت صريرًا لطيفًا حيث فُتحت النافذة ببطء شديد. لم تعد أعصابي كما كانت عليه من قبل؛ فقفزت من السرير، وفتحت النافذة فجأة، لأجد رجلًا جاثمًا عندها!

مع ذلك، لم تسعني رؤية سوى القليل منه؛ إذ إنه اختفى في لحظات. كان مرتديًا معطفًا من النوع الذي يغطي الجزء السفلي من وجهه. الشيء الوحيد الذي يمكنني الجزم به هو أنه كان لديه بعض الأسلحة في يده. بدا لي كأنها سكين طويلة؛ فقد رأيت بوضوح بريقها وهو يستدير للركض».



قال هولمز: «هذا أمر مثير جدًّا. ماذا فعلت بعد ذلك؟».

- «كنت سأتبعه من خلال النافذة المفتوحة لو كنت أقوى. في الواقع، قرعت الجرس وأيقظت المنزل. استغرق الأمر بعض الوقت لأن الجرس يرن في المطبخ بينما ينام الخدم في الطابق العلوي. رغم ذلك، صرخت فأيقظت جوزيف، الذي بدوره أيقظ الآخرين. وجد جوزيف علامات في حوض الزهور خارج النافذة، لكن الطقس كان جافًّا مؤخرًا لدرجة أنه كان من المستحيل تتبع المسار عبر العشب. حسب ما أخبروني به، هناك مكان على السياج الخشبي الذي يطل على الطريق يُظهر بعض العلامات. يبدو كما لو أن شخصًا ما قد تسلق

السياج، وكسر الجزء العلوي من الدرابزين عند قيامه بذلك. لم أقل شيئًا للشرطة المحلية حتى الآن. اعتقدت أنه من الأفضل معرفة رأيك في هذا الأمر أولًا».

كان لهذه الحكاية تأثير غير عادي على هولمز؛ فقد نهض من كرسيه وجال في الغرفة وهو مستثار بشكل لا يمكن السيطرة عليه.

قال فيلبس مبتسمًا بشجاعة: «المصائب لا تأتي فرادى».

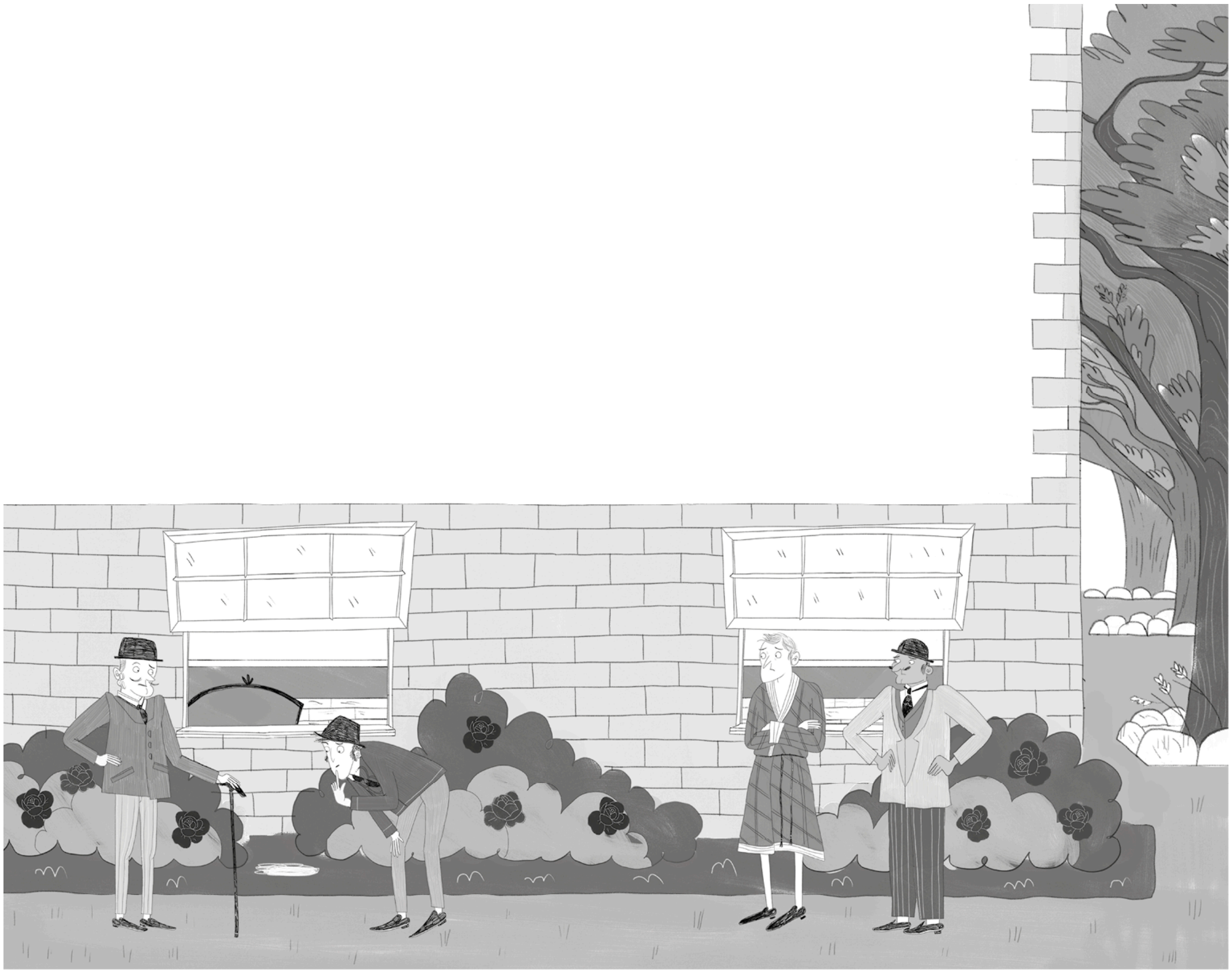
كان من الواضح أن مغامرته قد زعزعته بشكل ما.

قال هولمز: «لقد مررت بتجربة سيئة بالتأكيد»، ثم أردف: «هل تعتقد أنه يمكنك التجول معي في المنزل؟».

- «أوه، نعم، أود القليل من أشعة الشمس. سنطلب من جوزيف أن يأتي معنا أيضًا».

قالت الآنسة هاريسون: «سآتي أنا أيضًا».

قال هولمز وهو يهز رأسه: «أخشى ألا يمكنكِ مرافقتنا. أعتقد أنني يجب أن أطلب منكِ البقاء جالسة حيث أنتِ بالضبط».



جلست الشابة، لكنها لم تبدُ سعيدة. انضم إلينا شقيقها، ثم انطلقنا جميعًا.

تجولنا حول نافذة فيلبس من الخارج. كانت هناك علامات على حوض الزهور، تمامًا كما قال، لكنها كانت غامضة ومبهمة جدًّا.

انحنى هولمز تجاهها للحظة، ثم نهض وهز كتفيه.

قال: «لا أعتقد أن أي شخص يمكنه استنتاج أي شيء من هذه العلامات»، وتابع «دعونا نذهب حول المنزل ونرى لماذا تم اختيار هذه الغرفة بالذات من قِبل السارق. إذا كنت مكانه، فإن تلك النوافذ الكبيرة في غرفة المعيشة وغرفة الطعام ستكون أكثر جاذبية بالنسبة لي.

قال جوزيف مقترحًا: «إنها أكثر وضوحًا من الطريق».

- «آه، نعم، بالطبع. يوجد باب هنا ربما حاول الدخول منه. ما هذا الباب؟».

- «إنه من أجل التجار وعمال التوصيل، ودائمًا ما يكون مقفلًا في الليل».

- «هل حدث لك أي شيء مشابه من قبل؟».

- «لا، أبدًا».

هل تحتفظ في المنزل بأي شيء قد يجذب اللصوص؟».

- «لا».

تجول هولمز حول المنزل بلا مبالاة وهو يضع يديه في جيبيه. كان هذا شيئًا غريبًا على الرجل الدقيق والحيوي الذي اعتدت عليه. شعرت بالاستهجان تجاه هذا السلوك الغريب.

قال لجوزيف: «بالمناسبة، كما فهمتُ، فقد وجدت مكانًا ما حيث تسلق اللص السور. لنلقِ نظرة على ذلك المكان».

الفصل الثامن

قادنا الرجل الشاب إلى مكان تشقق فيه الجزء العلوي من أحد القضبان الخشبية، وكانت هناك قطعة صغيرة من الخشب تتدلى على جنبه. سحبها هولمز وفحصها بدقة.

وقال «هل تعتقد أن هذا تم الليلة الماضية؟ تبدو قديمة نوعًا ما، أليس كذلك؟».

نظر فيلبس إليها من كثب قائلًا: «حسنًا، ربما تكون قديمة بالفعل».

- «لا توجد علامات تشير إلى قفز شخص على الجانب الآخر، ولا أعتقد أننا سنجد أي شيء آخر هنا. لنعد إلى غرفة النوم ونتباحث حول الأمر».

كان بيرسي فيلبس يسير ببطء شديد، متكئًا على ذراع صهره المستقبلي. سار هولمز بسرعة عبر العشب، ووصلنا إلى النافذة المفتوحة لغرفة النوم قبل الآخرين بوقت طويل.



قال هولمز، وهو يتحدث بشكل مُلِحّ إلى السيدة داخل الغرفة: «آنسة هاريسون، يجب أن تبقي حيث أنت طوال اليوم. لا تدعي أي شيء يصرف انتباهك. لا تخبري أحدًا بأنني طلبت منك القيام بذلك. إن هذا الأمر ذو أهمية كبيرة».

قالت الفتاة مندهشة: «بالتأكيد، إذا كنت ترغب في ذلك يا سيد هولمز».



أضاف هولمز: «وعندما تذهبين إلى النوم، أغلقي باب هذه الغرفة من الخارج، واحتفظي بالمفتاح معك. عديني بفعل ذلك».

- «ولكن ماذا عن بيرسي؟».

- «سيأتي إلى لندن معنا».

- «وهل سأبقى أنا هنا؟».

- «ستفعلين هذا لأجله. يمكنك بالفعل مساعدته. رجاءً أسرعي، وعديني بهذا!».

منحتنا إيماءة سريعة مع وصول السادة الآخرين.

صاح شقيقها: «لماذا تجلسين مكتئبة هنا يا آني؟ هيا اخرجي إلى ضوء الشمس!».

- «لا، شكرًا لك يا جوزيف. أشعر بصداع بسيط. هذه الغرفة رائعة ومهدئة بشكل مريح».

سأل عميلنا: «ما الذي تقترحه الآن يا سيد هولمز؟».

- «حسنًا، عند التحقيق في هذه القضية الصغيرة، يجب ألا نغفل تحقيقنا الرئيسي. سيكون من المفيد لي أن تأتي معنا إلى لندن».

- «حالًا؟».

- «حسنًا، عندما تكون جاهزًا؛ لنقل خلال ساعة».

- «سأشعر بأنني قوي بما فيه الكفاية، إذا تمكنت حقًّا من تقديم أية مساعدة».

- «شيء عظيم».

- «ربما قد ترغب في مكوثي هناك هذه الليلة، أليس كذلك؟».

- «كنت على وشك اقتراح هذا».

- «وهكذا، إذا عاد الشخص الذي هجم على غرفتي بالأمس فسيجد سريري فارغًا. نحن جميعًا رهن إشارتك يا سيد هولمز، وكل ما عليك فعله هو إخبارنا بما تريد فعله. هل سترغب في مجيء جوزيف معنا لرعايتي؟».

- «أوه، لا. إن صديقي واطسون طبيب، كما تعلم، وسوف يعتني بك. سوف نتناول غداءنا هنا، إذا سمحت لنا بهذا، ثم سننطلق إلى المدينة معًا».

تم الترتيب كما اقترح هولمز. ووفقًا لتعليماته، طلبت الآنسة هاريسون الإذن بعدم مغادرة غرفة النوم. لم أستطع تحديد ماهية خطة صديقي؛ فربما كان ذلك لإبعادها عن فيلبس، الذي كان سعيدًا لبدء استعادته عافيته، وأملًا بأن يتم حل القضية قريبًا، وقد انضم إلينا

لتناول طعام الغداء في غرفة الطعام. كانت لدى هولمز مفاجأة أكثر إثارة للدهشة بالنسبة لنا؛ فبعد ذهابنا إلى المحطة وركوبنا القطار، أعلن بهدوء أنه لا ينوي مغادرة ووكينغ.

قال: «هناك نقطة أو نقطتان صغيرتان أود توضيحهما قبل أن أذهب»، وأردف: «سوف يساعدني غيابك يا سيد فيلبس من بعض النواحي. وأنت يا واطسون، عندما تصل إلى لندن، ستسدي لي معروفًا كبيرًا بالتوجه على الفور إلى شارع بيكر مع صديقنا هنا، والبقاء معه حتى ألتقي بكما مرة أخرى. يمكن للسيد فيلبس الحصول على غرفة نوم إضافية الليلة، وسأكون معكما في الوقت المناسب لتناول الإفطار. هناك قطار سيقلني إلى ووترلو في الثامنة صباحًا».

سأل فيلبس، وهو يشعر بخيبة أمل: «ولكن ماذا عن تحقيقنا في لندن؟».

- «يمكننا فعل ذلك غدًا. أعتقد أنني سأكون أكثر فائدة هنا في الوقت الحالي».

صرخ فيلبس، مع بدء تحركنا من المحطة: «أخبرهم في براير براي بأنني سأعود ليلة الغد».

أجاب هولمز: «أوه، لا أتوقع ذهابي مجددًا إلى براير براي»، ولوح لنا بمرح مع مغادرتنا المحطة.



الفصل التاسع

تحدثت أنا وفيلبس عن الأمر خلال رحلتنا، لكن لم يستطع أي منا إيجاد سبب وجيه لهذا التغيير في الخطة.

- «أفترض أنه يريد العثور على بعض الأدلة حول عملية السطو الليلة الماضية. إذا كانت مجرد حادثة سرقة، فلا أعتقد أنه كان لصًّا عاديًّا».

- «ماذا تعتقد حيال ذلك الأمر؟».

- «قد تعزو ذلك إلى خلل الأعصاب الذي أعانيــه حاليًّا يــا واطســون، لكنني أعتقد أن هناك بعض المؤامرات السياسية العميقة التي تدور من حــولي. لسبب ما لا أفهمه، فإن حياتي في خطر من المتآمرين. يبدو الأمر سخيفًا، لكن فكر في الوقائع؛ لماذا يحاول اللص اقتحام نافذة غرفة النوم، حيث لا أمل في أية سرقة؟ ولماذا يأتي بسكين طويلة في يده؟».

- «هل أنت متأكد من أنها لم تكن عتلة؟».

- «لا، لا، لقد كانت سكينًا. رأيت وميض النصل بوضوح تام».

- «لكن، لماذا قد يتم استهدافك؟».

صرخ فيلبس: «هذا ما ينبغي السؤال عنه!».

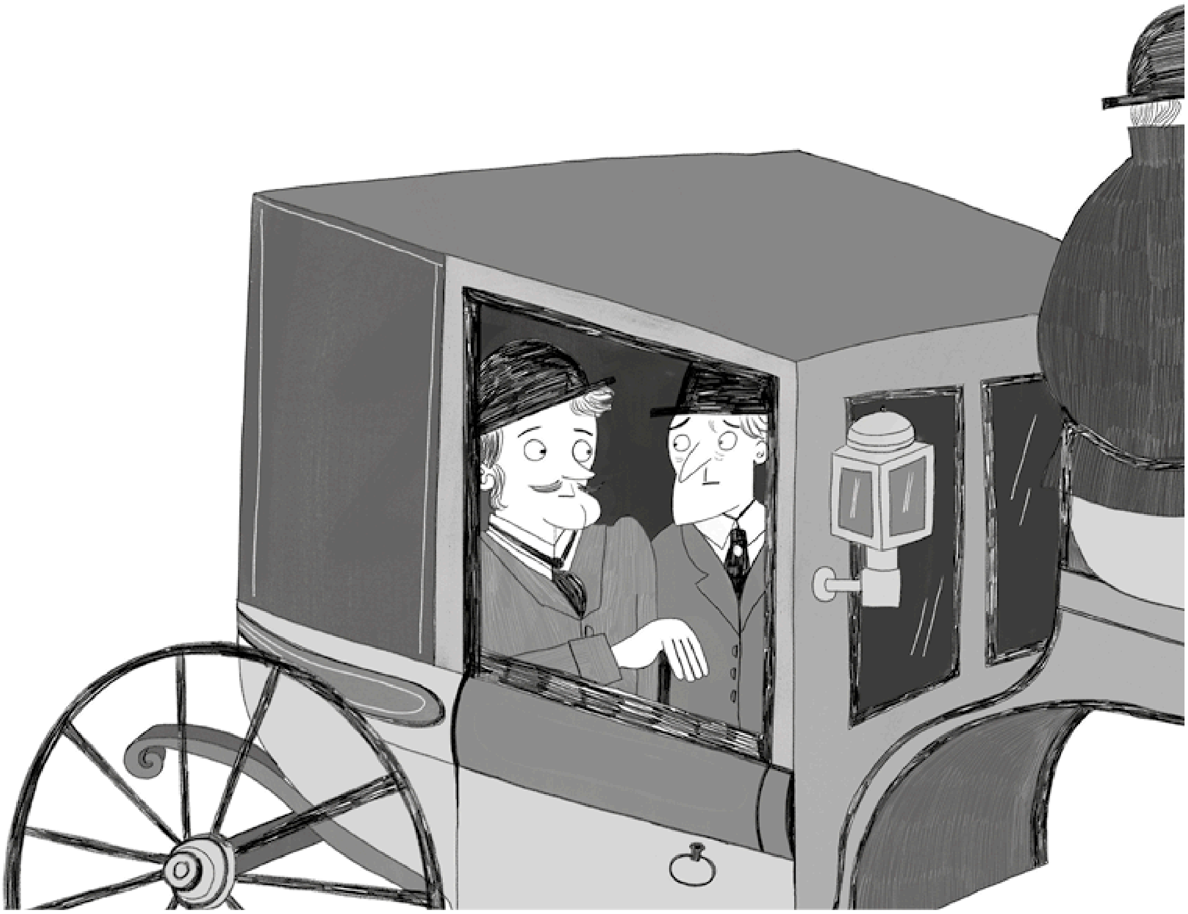
- «حسنًا، إذا كان هولمز يتبنى الرأي نفسه فهذا يفسر تصرفه، أليس كذلك؟ بافتراض صحة نظريتك، إذا تمكن من وضع يديه على الرجل الذي هددك الليلة الماضية، فسيكون قد قطع

شوطًا طويلًا نحو التوصل إلى المعاهدة البحرية. إنه لمن السخف افتراض وجود عدوين لك؛ أحدهما يسرقك، والآخر يهدد حياتك».

- «لكن هولمز قال إنه لن يذهب إلى برايز براي».

قلت له: «لقد عرفته منذ بعض الوقت، وأعرف أنه لن يفعل مطلقًا أي شيء دون سبب وجيه جدًّا».

في عربة الحنطور إلى شارع بيكر، انتقلنا إلى مواضيع أخرى للمحادثة. لقد كان يومًا مرهقًا بالنسبة لي، وكان فيلبس لا يزال ضعيفًا بعد مرضه الطويل. وقد جعله سوء حظه عصبيًّا وانفعاليًّا. عبثًا حاولتُ إثارة اهتمامه بقصص عن الفترة التي أمضيتها في الجيش، أو أي شيء قد يصرف ذهنه عن مشكلاته، لكنه كان يعود دائمًا إلى المعاهدة المفقودة، متسائلًا عما كان هولمز يفعله، وعن الخطوات التي اتخذها اللورد هولدهيرست، أو عن الأخبار التي سنحصل عليها في الصباح. مع حلول المساء، أصبحت عصبيته مؤلمة جدًّا.



سألني: «هل لديك ثقة مطلقة في هولمز؟».

- «لقد رأيته يفعل الكثير من الأشياء الرائعة».

- «لكن من المؤكد أنه لم يكشف قط عن مؤامرة مبهمة كهذه؟».

«لقد رأيته يحل قضايا بها أدلة أقل مما وجدناه في قضيتك».

- «ولكن ليس تلك التي تكون فيها المصالح الكبيرة على المحك، أليس كذلك؟».

- «على حد علمي، فقد عمل نيابة عن ثلاث من الأسر الحاكمة في أوروبا».

- «أنت تعرفه جيدًا يا واطسون. إنه رجل غامض جدًّا لدرجة أنني لا أستطيع أبدًا استيعاب ما يدور بداخله. هل تعتقد أنه متفائل؟ هل تعتقد أنه يتوقع النجاح في حل هذه القضية؟».

- «لم يقل لي أي شيء».

- «هذه إشارة سيئة».

- «على العكس تمامًا؛ لقد لاحظت أنه إذا كانت الأمور غامضة بالنسبة له، فإنه يقر بذلك بشكل عام. أما إذا كان يشعر بشيء ما، ولكن ليس متأكدًا تمامًا من صحة شعوره، فإنه يصبح شاردًا وهادئًا».

ثم نهضت من مقعدي قائلًا: «الآن يا صديقي العزيز، لا يمكننا المساعدة في الأمور مع الشعور بالتوتر حيالها. اسمح لي بأن أنصحك بالذهاب إلى الفراش والاستعداد لما قد ينتظرنا غدًا».

وافقني فيلبس، رغم أنني علمت من طريقته الحماسية أنه لم يكن هناك أمل كبير في الخلود إلى النوم الليلة. كان مزاجه مُعديًا؛ فأنا نفسي أخذت أتقلب في السرير حتى منتصف الليل مع التفكير مطولًا في هذه المشكلة الغريبة. لقد اخترعت مائة نظرية، كل منها مستحيلة أكثر من سابقتها. لماذا بقي هولمز في ووكينغ؟ لماذا طلب من الآنسة هاريسون البقاء في غرفة المرضى طوال اليوم؟ لماذا كان حريصًا جدًّا على عدم السماح للأشخاص في برايز براي بمعرفة أنه كان ينوي البقاء بالقرب منهم؟ لقد أرهقت عقلي، حتى غلبني النعاس وأنا أحاول إيجاد بعض التفسير الذي من شأنه أن يغطي كل هذه الحقائق.



الفصل العاشر

استيقظت في الساعة السابعة، وذهبت على الفور إلى غرفة فيلبس لأجده متعبًا بعد ليلة بلا نوم. كان سؤاله الأول هو ما إذا كان هولمز قد وصل بعد أم لا.

قلت: «سيكون هنا في الموعد الذي حدده، وليس قبله أو بعده».

كانت كلماتي دقيقة؛ فبعد الثامنة بقليل، انطلقت عربة حنطور نحو الباب، ونزل منها صديقنا. رأينا يده اليسرى ملفوفة بضمادة وكان وجهه شاحبًا جدًّا. دخل المنزل، لكنه استغرق بعض الوقت قبل أن يصعد إلى الطابق العلوي. قال فيلبس: «يبدو كرجل مهزوم».



اضطـــــررت إلى الاعتراف بأنه كان على حق. قلت: «على كل حال، ربما يوجد خيط الحل هنا في المدينة».

تأوه فيلبس قائلًا: «كنت أتمنى الكثير من عودته، لكن من المؤكد أن يده لم تكن مربوطة هكذا أمس. فما الذي قد حدث؟».

سألت صديقي عندما دخل الغرفة: «أنت لست مجروحًا يا هولمز، أليس كذلك؟».

أجاب: « إنه مجرد خدش تسببت فيه بحماقتي».

وأضاف: «إن قضيتك هذه يا سيد فيلبس هي بالتأكيد واحدة من أصعب القضايا التي حققت فيها على الإطلاق».

سألته: «ألن تخبرنا بما حدث؟».

- «بعد الإفطار يا عزيزي واطسون. تتذكر أنني قطعت رحلة طويلة هذا الصباح. أعتقد أنه لم تكن هناك إجابة عن إعلان عربة الحنطور الخاص بي، أليس كذلك؟ حسنًا، حسنًا، لا يمكننا أن نتوقع أن نكون محقين في كل مرة».

تم إعداد الطاولة، وعندما هممت برن الجرس، دخلت السيدة هدسون ومعها الشاي والقهوة. وبعد بضع دقائق، أحضرت ثلاثة أطباق مغطاة، وانطلقنا جميعًا إلى الطاولة. كان هولمز شرهًا، وكنت فضوليًا، أما فيلبس فقد أصبح في أشد حالات الاكتئاب.

قال هولمز، وهو يكشف عن طبق من الدجاج بالكاري: «لقد ارتقت السيدة هدسون إلى مستوى المناسبة»، وسألني: «ماذا لديك هنا يا واطسون؟».



أجبته: «لحم مقدد وبيض».

- «جيد! ماذا ستتناول يا سيد فيلبس - دجاج بالكاري أم بيض؟».

قال فيلبس: «شكرًا لك. لن أستطيع تناول أي شيء».

- «ترأف بنفسك يا سيد فيلبس، وقم بتذوق الطبق الموجود أمامك».

- «أفضل ألا أفعل».

قال هولمز، مع وميض خبيث في عينيه: «حسنًا، كنت أفترض أنه لا مانع لديك من مساعدتي».

مد فيلبس يده إلى أقرب طبق ورفع الغطاء. وبينما كان يفعل ذلك، قام بالصراخ وهو يحدق أمامه. كان وجهه أبيض مثل الطبق الذي ينظر إليه. في منتصف ذلك الطبق، كانت هناك لفافة صغيرة من الورق الأزرق الرمادي. أمسكها فيلبس، وأخذ يرقص بجنون في أرجاء الغرفة، وقد ضمها إلى صدره وهو يصرخ في فرحة.

ثم عاد إلى كرسيه متعرجًا ومنهكًا من مشاعره.

قال هولمز مهدئًا، وهو يربت كتفيه: «اهدأ، اهدأ!»، وتابع: «كان من السيئ جدًّا أن أضعها أمامك هكذا، لكن واطسون هنا سيخبرك بأنني لا أستطيع أبدًا مقاومة لمسة من الدراما».



أمسك فيلبس يد هولمز وقبَّلها، وصرخ: «بارك الله فيك! لقد حافظت على سمعتي».

قال هولمز: «حسنًا، كما تعلم، كانت سمعتي أنا أيضًا على المحك»، وتابع: «أؤكد لكم أنه أمر كريه بالنسبة لي أن أفشل في قضية بنفس قدر كرهك الإخفاق في مهمة ما».

وضع فيلبس الوثيقة الثمينة في الجيب الداخلي لمعطفه، وقال:

«لا أحب مقاطعة إفطارك أكثر من ذلك، لكنني أتوق لمعرفة كيف حصلت عليها وأين وجدتها».

ابتلع هولمز كوبًا من القهوة ثم وجه انتباهه إلى اللحم المقدد والبيض. وبمجرد الانتهاء من وجبته، قام وأشعل غليونه واستقر على كرسيه.

قال: «سأخبرك بما حدث»، ثم بدأ السرد قائلًا: «بعد تركك في المحطة، ذهبت في نزهة عبر ريف مقاطعة ساري الجميلة. توقفت في قرية صغيرة جميلة تسمى ريبلي وبقيت هناك حتى المساء. ثم عدت إلى ووكينغ، ووصلت إلى الطريق خارج منزل براير براي بعد غروب الشمس مباشرة، وانتظرت حتى أصبح الطريق خاليًا، ثم تسلقت السياج إلى داخل الحديقة».

قال فيلبس متعجبًا: «بالتأكيد كانت البوابة مفتوحة!».

- «نعم، لكنني اخترت المكان الذي تقف فيه أشجار التنوب الثلاث. تجاوزت السياج دون أية فرصة لرؤيتي من قبل أي شخص في المنزل، ثم انحنيت بين الشجيرات على الجانب الآخر وزحفت - انظر إلى الحالة الرهيبة لركبتي البنطال - حتى وصلت إلى شجيرة الورد مقابل نافذة غرفة نومك. هناك، جثوت على ركبتي، وانتظرت.

لم تكن ستارة غرفتك منسدلة، وكان بإمكاني رؤية الآنسة هاريسون جالسة هناك تقرأ بجانب الطاولة. كانت الساعة العاشرة والربع عندما أغلقت كتابها وأغلقت المصاريع وذهبت إلى الفراش. سمعتها تغلق الباب، وتأكدت أنها أدارت المفتاح في القفل».



قال فيلبس: «المفتاح!».

- «نعم. أعطيت الآنسة هاريسون تعليمات لقفل الباب من الخارج وأخذ المفتاح معها عندما تذهب إلى الفراش، وقد نفذت كل تعليماتي على أكمل وجه. بالتأكيد دون مساعدتها لم تكن لتحصل على تلك الوثيقة في جيب معطفك.



كانت الليلة جيدة، لكنها كانت لا تزال متعبة جدًّا وطويلة جدًّا. كانت مثل تلك الليلة التي انتظرنا فيها أنا وأنت، يا واطسون، في تلك الغرفة المميتة للتفكر في مشكلة العصابة الرقطاء».

تذكرت، بالطبع، وقد سرت قشعريرة حتى أسفل عمودي الفقري. لقد كانت واحدة من أكثر الليالي المخيفة في حياتي؛ فقد كنا ننتظر هجوم القاتل دون معرفة الكيفية التي سيفعل بها ذلك.

ابتسم هولمز ابتسامة صغيرة وتابع: «كانت هناك ساعة في دار العبادة في ووكينغ تصدر جرسًا كل ربع ساعة، وقد بدا الوقت طويلًا لدرجة أنني اعتقدت أكثر من مرة أنها قد توقفت عن العمل. أخيرًا، في حوالي الساعة الثانية صباحًا، سمعت فجأة صوتًا لطيفًا لدفع المزلاج للخلف وصرير المفصلة».

توقف هولمز مستمتعًا بالأحداث التشويقية لسرده، فانتظرت أنا وفيلبس، ولم نتجرأ على التنفس.

تابع: «بعد لحظة، فُتح باب الخدم وظهر السيد جوزيف هاريسون في ضوء القمر».



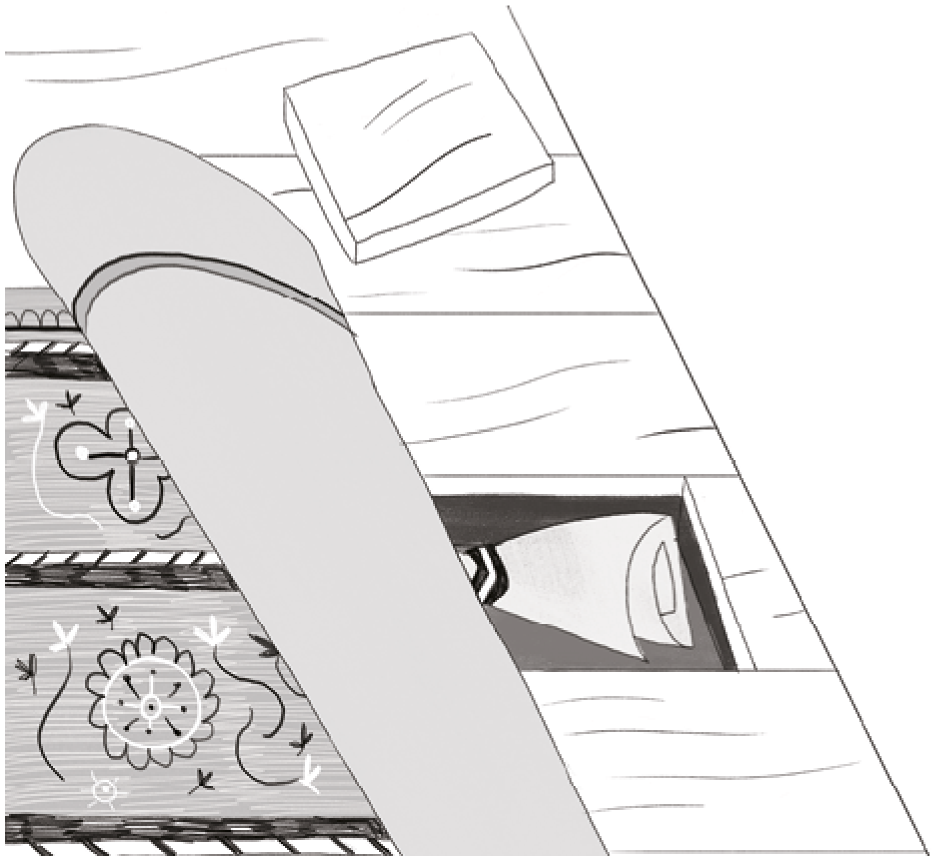
صرخ فيلبس: «جوزيف!».

- «كان يرتدي معطفًا أسود على كتفيه حتى يتمكن من إخفاء وجهه إذا تمت مشاهدته، وقد مشى على أطراف أصابعه تحت ظل الجدار. وعندما وصل إلى النافذة وضع سكينه من خلال شق بين المصاريع، ودفع المزلاج لأعلى، لتُفتـــــــح الـنافذة أمامه.



مـن المكان الذي اسـتلقيتُ فيـه، كان لـديّ منظـــر مثالي لداخـــل الغرفة وجميع تحركاته. أشعل الشمعتين اللتين كانتا على رف الموقد، ثم قام بثني السجادة تجاه الباب. بعد ذلك، جثا على ركبتيه وسحب قطعـــة مربعة من ألـواح الأرضية. كـانت قطعـــة غـيـــر مُحكمة التثبيت حتى يستخدمها الـسـباك للإصلاح أو ما شابه ذلك. من مكان

الإخفاء هذا، سحب لفافة الورق الصغيرة تلك، ثم دفع اللوح لمكانه مجددًا، وقام بتسوية السجادة، وأطفأ الشموع، وسار مباشرة بين ذراعي بينما كنت أنتظره خارج النافذة.



حسنًا، إنه أكثر شراسة مما كنت أعتقد، ذلك السيد جوزيف؛ لقد طار نحوي بسكينه، وتعرضتُ لجرح فوق مفاصل الأصابع قبل أن أسيطر عليه تمامًا. نظر إليّ بشكل قاتل من عينه الوحيدة التي استطاع الرؤية بها بعدما تمكنت منه، لكنه استسلم أخيرًا وتخلى عن الأوراق. بعد أن حصلت عليها، سمحت له بالرحيل، لكنني أرسلت برقية إلى فوربس هذا الصباح بكل التفاصيل. إذا كان سريعًا بما يكفي لاصطياد طائره، سيكون هذا جيدًا. ولكن إذا وجد، كما أظن، العش فارغًا، فسيكون ذلك أفضل للحكومة؛ إذ أعتقد أن كلًّا من اللورد هولدهيرست والسيد بيرسي فيلبس يفضلان كثيرًا ألا تصل القضية أبدًا إلى أقسام الشرطة».



شهق عميلنا: «يا إلهي!»، وأردف: «هل تخبرني بأنه خلال هذه الأسابيع العشرة من العذاب، كانت الأوراق المسروقة في الغرفة التي كنت أنام فيها طوال الوقت؟».

- «نعم».

- «جوزيف! جوزيف لص وشريرا!».

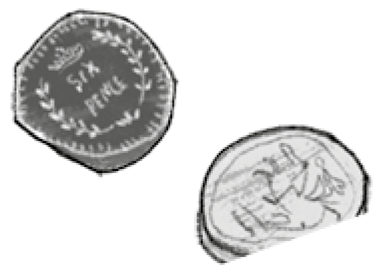
- «أخشى أن شخصية جوزيف تعد أكثر خطورة مما قد يعتقده المرء من مظهره. مما سمعته منه هذا الصباح، أعلم أنه خسر قدرًا كبيرًا من المال في سوق الأسهم وأنه على استعداد لفعل أي شيء لاسترداد الأموال. إنه رجل أناني جدًّا، لذلك عندما أتيحت له فرصة، لم يأبه لسعادة أخته أو لسمعتك».










SIX
PENCE

الفصل الحادي عشر

غرق بيرسي فيلبس في كرسيه، وقال: «إن رأسي يدور. لقد صدمتني كلماتك».

قال هولمز: «إن الصعوبة الرئيسية في هذه القضية تكمن في حقيقة أن هناك الكثير من الأدلة؛ وقد غطت الأدلة غير المهمة على الأدلة الجوهرية. لقد بدأتُ بالفعل في الشك في جوزيف من حقيقة أنك كنت تنوي الرجوع معه إلى المنزل في تلك الليلة. فقد كان ينبغي عليه الاتصال بك، كما أنه يعرف وزارة الخارجية جيدًا. وعندما سمعت أن شخصًا ما كان متشوقًا لدخول غرفة النوم، حيث لم يكن بإمكان أحد سوى جوزيف إخفاء أي شيء فيها، تأكدت - خاصة أن هذا حدث في الليلة الأولى من عدم وجود الممرضة. وقد أظهر هذا أن الدخيل كان يعرف طرق المنزل».

- «لقد كنت شخصًا أعمى!».

بدا فيلبس خجلًا لدرجة أنني وضعت يدي على ذراعه. «يمكنك الرؤية الآن؛ إذ تم توضيح الأمر».

قال هولمز: «من بين جميع الحقائق التي قُدمت إلينا، كان علينا اختيار تلك التي كانت جوهرية. كانت هذه هي الصعوبة، وهذا ما حدث: دخل جوزيف هاريسون المكتب عبر باب شارع تشارلز. ونظرًا لأنه كان يعرف طريقه، فقد سار مباشرة إلى غرفتك، ودخلها لحظة مغادرتك إياها. لم يجد أحدًا هناك، فقرع الجرس. في تلك اللحظة، رأى الوثيقة على الطاولة. ومع إلقاء نظرة سريعة عليها، عرف أنها وثيقة رسمية ذات قيمة كبيرة. وفي لحظة، وضعها في جيبه، وذهب. مرت لحظات قليلة، كما تتذكر، قبل أن يلفت الحاجب انتباهك إلى الجرس. كان ذلك وقتًا طويلًا بما يكفي لمنح اللص وقتًا للفرار.



ثم ذهب إلى ووكينغ بالقطار، وأخفاها في مكان يعتقد أنه مكان آمن جدًّا. وقد خطط لنقلها إلى السفارة الفرنسية، أو من سيدفع أفضل الأسعار، بعد يوم أو يومين. ثم جاءت عودتك المفاجئة. ودون سابق إنذار، ولو للحظات، تم إبعاده عن غرفة نومه. منذ ذلك الحين فصاعدًا، كان هناك دائمًا اثنان على الأقل منكم لمنعه من استعادة كنزه. لا بد أنه كان في حالة جنونية، لكن في النهاية سنحت له فرصته. وفي الليلة التي حاول فيها التسلل عبر النافذة، كنتَ مستيقظًا لأنك لم تتناول الحبوب المنومة المعتادة.



- «أتذكر ذلك».

- «أعتقد أنه حرص على وجود جرعة كبيرة بما يكفي لإبقائك نائمًا، ولا بد أنه كان متفاجئًا أنك لم تكن كذلك. علمت بالطبع أنه سيحاول مرة أخرى كلما سنحت له الفرصة. ومثلت مغادرتك للغرفة بالأمس فرصة ذهبية بالنسبة له، لذلك طلبت من الآنسة هاريسون البقاء

فيها طوال اليوم حتى لا يشك. ثم بعد أن هيأت له أن المكان أصبح خاليًا، ظللتُ أراقب المشهد كما أوضحت لكما. كنت أعرف بالفعل أن الأوراق ربما كانت في الغرفة، لكن لم أرغب في تمزيق جميع ألواح الأرضية للبحث عنها. لذا سمحت للسيد هاريسون بأخذها من مخبئها، ووفرت على نفسي الكثير من التعب.

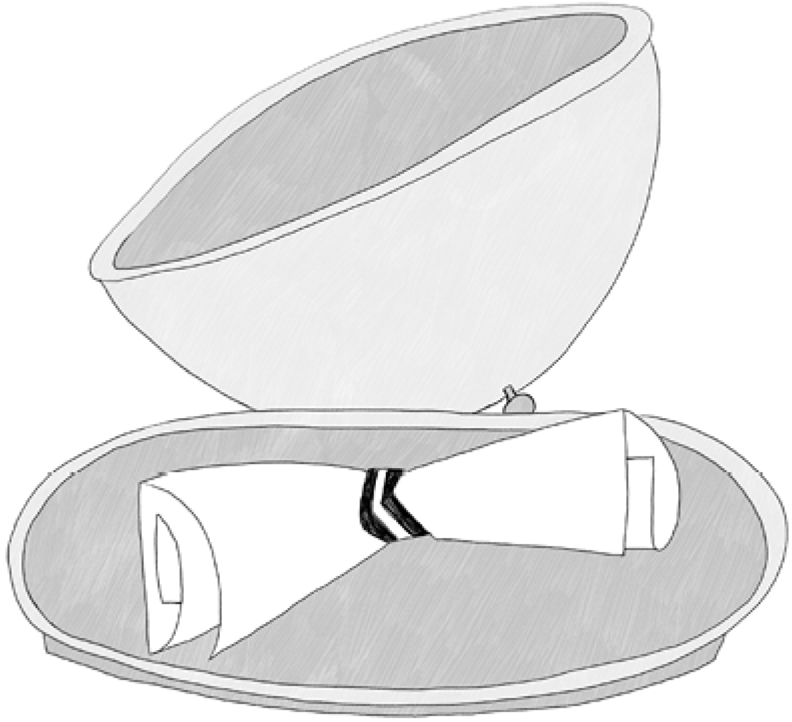
سألته: «لماذا حاول الدخول من النافذة في حين أنه كان من الممكن أن يدخل من الباب؟».

- «للوصول إلى الباب كان عليه المرور على سبع غرف نوم. ومن ناحية أخرى، سيمكنه ذلك من الخروج إلى الحديقة بسهولة. أي سؤال آخر؟».

سأل فيلبس: «هل تعتقد أنه أراد أن يؤذيني، أم أنه كان سيستخدم السكين فقط كأداة؟».

هز هولمز كتفيه قائلًا: «لا يسعني القول على وجه اليقين سوى أن السيد جوزيف هاريسون هو رجل لا يمكنني الوثوق به على الإطلاق».

تم حل القضية، وطلبنا من السيدة هدسون إحضار المزيد من القهوة لنا.



شيرلوك هولمز

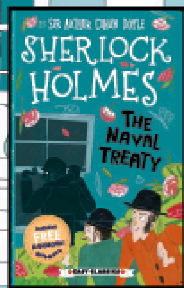
قام المحقق الخاص المشهور عالميًّا شيرلوك هولمز بحل مئات الألغاز، وهو مؤلف أوراق بحثية رائعة مثل Early English Charters وThe Influence of a Trade Upon the Form of a Hand. ويربي النحل في أوقات فراغه.

دكتور جون واطسون

جُرح دكتور جون واطسون في مشاركته في معركة مايواند، وترك الجيش وانتقل إلى منزل 221ب بشارع بيكر. وهناك تفاجأ عندما علم أن صديقه الجديد، شيرلوك هولمز، يواجه خطرًا يوميًّا في أثناء حل الجرائم، وبدأ في توثيق تحقيقاته. يدير دكتور واطسون عيادة طبيب أيضًا.

لتحميل أنشطة شيرلوك هولمز، يرجى زيارة الموقع الالكتروني
www.sweetcherrypublishing.com/resources

الغلاف الخلفي



واطســـون، هل تعتقـــد أنه يمكنـــك إحضار
صديقك الســـيد شـــيرلوك هولمز لرؤيتي؟
لقـــد بـــدت وظيفتـــي فـــي وزارة الخارجية
آمنة قبـــل حدوث هـــذه الكارثـــة الرهيبة.
أخشى أن مسيرتي المهنية قد دُمرت!

تصبح الحـــرب تهديـــدًا حقيقيًا بعد ســـرقة
وثيقة ســـرية للغايـــة مـــن وزارة الخارجية.
ولكن لماذا انتظر الســـارق عشـــرة أســـابيع
لبيـــع المعاهدة؟ انخرط هولمز وواطســـون
فـــي عالم الدبلوماســـية الدولية ليكتشـــفا
فـــي النهايـــة أن الخطر يمكـــن أن يأتي من
جهات غير متوقعة.

لشراء النسخة
الإلكترونية
قارئ جرير
JARIR READER

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore

Arabic edition published by Jarir Bookstore

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

Retoid by: Stephanie Baudet
Licensor: Sweet Cherry Publishing United Kingdom [2022]

ISBN 628-1072-14-361-9
6 281072 143619
282208933